



سجّل بن هارون

كِتَابُ الْفَمْرِ وَالْبَعْلِ

حقّفه وقدم له وترجمه إلى الفرنسية

عبد القادر المهيري

منشورات الجامعة التونسية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم

1973

هَذَا عمل قدمناه قبل ثلاث سنوات الى جامعة باريس رسالة ثانية لشهادة الدكتوراه ؛ وكان فى العزم ألا نبادر الى نشره قبل أن نهتدى الى حل ما لم يتسن لنا إذ ذاك حله من مشاكل التحقيق ؛ وحالت المسؤوليات التى اضطلعنا بها فى كلية الآداب والعلوم الانسانية دون ذلك ، وتعذر علينا اكتشاف وثائق جديدة تعيننا على تحسين التحقيق الذى قمنا به ؛ وظل عملنا تحت تصرف الجمهور فى مكتبة جامعة باريس لا حامى له من الانتحال إلا « آداب » البحث ، وليست - مع الاسف - دوما بحصن منيع .

لذا رأينا أن ننشره بين الناس وإن لم تكن راضين عن تحقيق بعض الفقرات من كتاب سهل بن هارون . ورجاؤنا أن نكون ساهمنا قسى التعريف بالأثر الوحيد الذى بقى - حسب ما يبدو - لهذا الكاتب .

المؤلف

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم .

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

قال سهل بن هارون الكاتب رحمه الله

الحمد لله الذي فطر العباد على معرفته ، وأكلّ (1) الألسن
 على عز صفته ، وحسم الخلائق عن ادراك كيفيته ، وخلق الملائكة (2)
 خلقا نوريتا ، وكوّن الآدميين ما شاء اطوارا ، وركّب البروج ،
 وادار الأفلاك ، وخلق الليل والنهار ، فتبارك الذي بان في ملكوته ،
 والملك الحاكم في برّيته ، وتعالى الحي الدائم الذي لا يموت ،
 وسبحان المهيمن القدّوس الذي لا يتوارى عنه ما رقّ من مخلوقاته
 في ليل داج ، ولا في سماء ذات أبراج ، ولا في أرض ذات فجاج ،
 ولا في بحور ذات أمواج ، ولا في ظلم ذات أدعاج . يعلم الخفيّ
 وفوق الخفيّ ودون الخفيّ ، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده
 لا شريك له الذي لا تشبّه عليه الأصوات بضروب اللغات ،
 والعالم بمكنون الخفيات ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله
 نور أفلق به الظلمات ، وأتمّ به الكلّيات ، وأوضح به الدلالات ،
 وأقام به الرسالات ، وختم به النبوات ، وافتتح به الخيرات ،

(1) أ . وأكل

(2) أ . الملا

إذ (1) بعثه نبيا هاديا ورسولا داعيا إليه ، ودالا عليه ، وحنة وحنه بين يديه ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

أما بعد أيّدك الله بتوفيقه ، وعصمك بتسديده ، فإنني رأيت أن أصنع لك كتابا في الأدب والبلاغة والترسل (2) والحروب والحيل والأمثال والعالم والجاهل ، وأن أُشرب ذلك بشيء من المواعظ وضروب من الحكم ، وقد وضعت من ذلك كتابا مختصرا موعبا [2 - 9] شافيا ، وجعلته أصلا للعالم / الأديب والعاقل (3) الأريب مما أمكنني حفظه ، وإطرد لي تأليفه ، والله نسأله العون والتأييد والتوفيق والتسديد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ذكر أن ثعلبا يقال له مرزوق ويكنى أبا الصباح أقام في واد لم يكن به غيره ، فعبر عليه زمان وهو في حسن الحال ، آمن السرب ، رخي البال ، فمرّ به صديق له من الثعالب يقال له طارق ويكنى أبا المغلس ، فنزل عليه فأحسن ضيافته وأكرم مشواه ، فقال له طارق : يا أبا الصباح ، كل أمرك جميل وكل فعالك فعلى سبيل حزم وصواب تدبير ، غير أنني أراك احتفرت جحررك بمكان سوء ، وانه لأحق منزل بترك (4) . فقال له

(1) أ. أن .

(2) أ. الترسيل - نرجح ان تكون لكلمة مصدر ترسل نظرا الى تضمن الكتاب لعدة رسائل مدرجة فى سياق القصة .

(3) أ. العالم .

(4) مثل . انظر الميداني : مجمع الامثال ، ج II ، ص 387 .

مرزوق : يا أبا المغلس ، وما الذي أنكرت عليّ منه وغمصت (1) عليّ فيه ؟ ، فأنت من لا أتهم في عقله ونصيحته لأهل مودّته ، وما عقالك لهم بأنشوطة (2) وإنّسي لعلى حبل ذراعك (3) ، والمؤمن مرآة أخيه (4) ، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : « رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا . » .

– فقال له طارق : إنّ أخاك من صدقك ، والشفيق بسوء الظنّ مولع (5) ، وإنّي أراك في واد عظيم ، وبه من آثار السيل ها ترى ، وما تدري ما يحدث ، ولست آمن عليك أن يدهمك منه بالليل ما لا طاقة لك به ، وهو أحد الأبهمين (6) ، والسيل حرب للمكان العالي ، فنشدتك الله في نفسك وأهلك إلاّ تحوّلت من هذا الموضوع ، واستبدلت به غيره .

– فقال له مرزوق : فأنت من لا أتهم في رأيه ومشورته ، وسأتقدّم إلى زوجتي في التحويل .

وقام فدخل عليها فقال : يا هذه ، قد كان فرط من خطائنا في المقام بهذا الوادي ما كان يهلكنا حتى أتاح الله لنا صديقنا (7) أبا المغلس ،

(I) أ . عصمت .

(2) مثل ، مجمع ج II ، ص 278 .

(3) مثل ، مجمع ج II ، ص 388 .

(4) مثل ، انظر العقد الفريد ، ج III ص 77 ، وهو مقتبس من الحديث النبوي : المؤمن مرآة المؤمن ، انظر السيوطي : الجامع الكبير ، ج II ، ص 569 .

(5) مثل ، مجمع ج I ، ص 2 .

(6) مقتبس من المثل : سلط عليه الابهمين ، انظر مجمع ج I ، ص 344 .

(7) أ . صديقا .

فَحَدَّرْنَا الْمَقَامَ بِهِ ؛ وَخَوَّفْنَا السَّيْلَ وَنَحْنُ بِقَرْبِهِ (1) ، وَإِنَّهُ كَانَ يَقَالُ : التَّقَدَّمَ قَبْلَ التَّنْدِيمِ (2) ، فَاجْمَعِي إِلَيْكَ مَتَاعَكَ وَانْتَقِلِي .

– فَقَالَتْ لَهُ : مَا هَذَا مِنْ صَدِيقِكَ بِالنَّصِيحَةِ لَكَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى غَضَارَةَ عَيْشِكَ بِهَذَا السَّوَادِيِّ ، وَقَرَّبَ مَغَارَكَ ، وَبَعْدَ أَعْدَائِكَ ، فَحَسَدَكَ إِيَّاهُ ، وَنَحْنُ بِهِ نَزُولٌ مِنْذُ سِنِينَ فَمَا رَأَيْنَا مِنْ سَيْلِهِ مَا [١٠٠] يَرَوْنَ عِنَّا وَجَحْرُنَا / بِالْمَعْزَلِ عَنْ سُنَّتِهِ (3) ، فَزُلُّ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ وَلَا تَحْفَظْ بِهِ .

فَخَرَجَ إِلَى طَارِقٍ فَأَعْلَمَهُ بِخِلَافِ زَوْجَتِهِ عَلَيْهِ وَمَا اعْتَرَضَتْ عَلَيْهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَطُولِ السَّلَامَةِ .

فَقَالَ لَهُ طَارِقٌ : يَا أَبَا الصَّبَاحِ ، إِنْ لَمْ تَفْقَهُ مَعْنَى النَّصِيحَةِ فَنَحْنُ مِنْكَ بِحُلٍّ (4) ، وَإِنَّهُ كَانَ يَقَالُ الْعَزِيمَةَ حَزْمًا وَالِاخْتِلَاطَ ضَعْفًا (5) ، وَلَيْسَ لِلنِّسَاءِ رَأْيٌ ، فَلَا تَحْمِلْكَ زَوْجَتَكَ بِلِجَاجِهَا عَلَى أَمْرٍ فِيهِ عَطْبُكَ ، وَأَعْرِفْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ شَعْرًا :
 إِنْ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتُنَ مَعَا مِنْهُنَّ مَرًّا وَبَعْضُ الْمَرِّ مَأْكُولٌ
 إِنْ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْسِينَ عَنْ خُلُقٍ فَلِإِنَّهُ وَاجِبٌ لِأَبَدٍ مَفْعُولٌ (6)
 ثُمَّ إِنْ طَارِقًا ارْتَجَلَ عَنْهُ ، وَأَقَامَ مَرَزُوقًا بِمَكَانِهِ ، فَبَيْنَمَا (7) هُوَ

(1) آ . بعقوبة .

(2) أ . مثل ، مجمع ج I ، ص 136 .

(3) أ . سنته .

(4) أ . ان لم تسقط مغنا النصيحة فنحن معك بخير .

(5) مثل ، مجمع ج II ، ص 35 .

(6) البحر البسيط .

(7) أ . فبانما .

على تلك من حاله حتى جاء السيل فنظر إليه مرزوق فقال لزوجته :
خذي الأمر بقوابله (1) ، فقد علمت ما قال القطامي (2) في
شعره :

وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا
وقال بعض الحكماء : شرّ الرأي الدّبري^٤ (3) ، وقال متمثلا (4) :
قبل الرّمي يُراش^٥ (5) السّهم ، فالنّجاة الآن « ولات حين
مناص » (6) .

— قالت له زوجته : ما كل أزبّ نفُور^٧ (7) ، وقد يجيء
في مثل هذا في سنة مرارا فما يصل إلينا أوله حتى ينقطع آخره^٨
فلا تخرجنا من وطننا فإننا به راضون .

وإنهما لعلی ذلك من مراجعتهما إذ دخل السيل عليهما ، فخرج
الثعلب من جحره ليهرب ، فاحتمله السيل ، فقصد لبعض ما جاء
به السيل من الخشب فتعلّق به وأسلم نفسه ، فما نههه إلى أن قذف
نفسه في البحر ؛ فلما رأى البحر قال يخاطب نفسه : استمسك فإنك

-
- (1) مثل ، مجمع ج I ، ص 23I .
(2) آ . القطامي ؛ ابیت من البحر الوافر ، انظر ديوان القطامي ، ص 40 .
(3) مثل ، مجمع ج I ، ص 258 .
(4) أ . متمثلا .
(5) تراء آش ، انظر مجمع ج II ، ص IOI .
(6) قرآن ، س 38 ، ص آية 3 .
(7) مثل ، انظر الزمخشري : المستقصى في أمثال العرب ، ج II ، ص 223 .

مَعْدُوُّ بَكَ (1) فَأَجَابَ نَفْسَهُ عَنِ نَفْسِهِ : وَكَيْفَ تَبَوَّقِي ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ (2) ؟ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ أُمِّيَّةٍ حِينَ قَالَ :

يَبْشُرُكَ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَا رَغِبْتَهُ النَّفْسُ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ عَاشَتْ طَوِيلًا وَالْمَوْتَ لَأَحْقُهَا

[3 - 9] / يَقُودُهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَحْدُوهَا سَرِيعًا إِلَيْهِ سَائِقُهَا

مَنْ لَمْ يَمِتْ عَجْبَةً يَمِتْ هَرْمًا الْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرءُ ذَائِقُهَا (3)
ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتْرَامِي بِهِ الْمَوْجُ حَتَّى أَلْقَاهُ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ
الْبَحْرِ؛ فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ قَوَائِمُهُ عَلَى الْأَرْضِ قَالَ : مَنْ لَمْ يَفْتِ لَمْ
يَمِتْ (4) ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ شِعْرًا :

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا (5)

فَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ يَوْمَهُ لَا يَسْمَعُ حَسِيصًا وَلَا يَرَى أُنَيْسًا ، وَأَوْحَشَهُ
ذَلِكَ وَظَنَّ أَنَّهُ هَالِكٌ حَتَّى أَصْبَحَ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي تَرَدُّدِهِ اسْتَقْبَلَهُ
ذَيْبٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ فَقَالَ لَهُ الذَّيْبُ : اسْمِي
مَكَابِرٌ وَكُنْيَتِي أَبُو (6) الْفَرَاءِ ، فَمَا أَوْقَفَكَ أَيُّهَا الشُّعْلَبُ بِهَذِهِ
الْجَزِيرَةِ وَلَيْسَ لَكَ فِيهَا أَكْلٌ ؟ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الشُّعْلَبُ قِصَّتَهُ وَقَالَ لَهُ :
كَيْفَ أَيَّاسْتَنِي يَا أَبَا الْفَرَاءِ مِنَ الطَّعْمِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ؟

(1) أ. مقدر بك مثل ، مجمع ج II ، ص 285 .

(2) نصف بيت للمتلهمس وهو من البحر الطويل ، انظر العقد الفريد ،

ج III ، ص II9 .

(3) البحر المنسرح ، انظر ديوان أمية بن أبي الصلت ، ص 50 .

(4) مثل ، مجمع ج II ، ص I8I ، والصيغة التي أوردها الميداني : لم يفت

من لم يمت .

(5) البحر الطويل ، انظر ديوان الأعشى ، ص I35 .

(6) أ. أبا .

— قال له الذئب : إنه ليس فيها إلاّ الطباء وبقر الوحش .
 — فقال له الثعلب : وما يمنعكم أن تصيدوها فأصيب من رسلكم ؟
 — فقال له الذئب : نحن ها هنا جماعة ما يتجرأ واحد
 منا أن يخرج من بابه شبرا واحداً ، وإننا لمن الهزل والضرّ فيما ليس
 فيه خلق . قال له الثعلب : وما دهاكم ؟ فقال له الذئب :
 ها هنا نمر يقال له المظفر بن منصور قد تملك على هذه الجزيرة
 وغلب عليها وهو من شراسته وبخله وضيق خلقه على ما قد عرفت
 من صفة النّمور ، واني لأكلمك وما آمنه فرّقا (1) أن يخرج
 فيرانا ، فتفرّقا وتواعدا موضعا خفيا يلتقيان فيه من غد .

فانصرف الثعلب حزينا مغتما لما حزره من عداوة النّمور
 وعدم القوت ؛ ثم فكّر فقال : إنّما يعرف فضل عقل المرء في
 شدائد الأمور ونوازل الخطوب ، فأما عند الرخاء فما أقرب
 الجاهل من العالم ، والأحمق من العاقل ، وذلك ان مساعدة الدنيا
 للجاهل سائرة لنقصه عن زيادة العاقل وحاجبة (2) عن التمييز
 [3 - ظ] بينه وبين اللئيب ، وليس لمثلي قوّة على (3) صيد الطباء وبقر الوحش
 وإنّما يصيد كل امرئ قدره ، وليس ها هنا إلاّ طلب (4) الحيلة .

فلما أصبح الصبح قصد إلى المكان الذي وعد الذئب فيه والتقيا
 هنالك عن رقبته من النمر فقال له الثعلب :

-
- (1) أ. برنا .
 - (2) أ. حاجتي .
 - (3) أ. عن .
 - (4) أ. الا لطلب .

— يا أبا الفراء (1) كنت مهموماً بنفسي ، فزادني اهتماماً
ما أبششتني (2) من حديثك ، وألقيت إليّ من سوء حالك ، وها هنا
تدبير إن أعتسني عليه بهمة صادقة فلعنه أن يعود إلى صلاح .

— فقال الذئب : وما هو ؟

قال الثعلب : ايت النمر فسأله أن يوليك ولاية تردّ عليك نفعاً ،
وتؤدّي (3) لك ذكراً ، وتكسبك حمداً .

— قال الذئب : فأين ما أخبرتك علي بخله وشراسة خلقه ؟
وانه لكما قال القائل : سواء هو والعدم (4) .

— قال الثعلب : فأعلمه أنك لا تصيد (5) شيئاً إلاّ بعثت
إليه بشطره ، فإنّ لك فيما يبقى منتفعاً وصلاحاً ؛ فإن أجابك فلن
تعدم منّي معونة حسنة وقياماً بالذي يجب ، فكن كما قال الشاعر :

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألقر دلوك في الدلاء
يجيك بمليها طورا وطورا تجيء بحمأة وقليل ماء (6)

(1) أ. العراء .

(2) أ. أبشتنني .

(3) أ. تود .

(4) مثل ، مجمع ج I ، ص 338 .

(5) أ. فاعمل انك لا تفيد .

(6) البحر الوافر والبيتان منسوبان الى أبي الاسود الدؤلي ، انظر الاغانى ،

ج II × ، ص 330 ، وصيغة صدر البيت الاول حسب الاغانى هي :

وما طلب المعيشة بالتمنى .

— قال الذئب : يا أبا الصَّبَّاح ، انّه كان يقال : اتَّقُوا مقارنة الحريص الغادر فإنّه ان رآك في القوّة رأى منك أخبث حالاتك ، وان رآك في الفضول لم يدعك وفضولك .

— قال الثعلب : يا أبا الفراء (1) ، انّه ليس الرّي عن التَّشَافٍ (2) ؛ من عاش غير خامل الذّكر والمنزلة إذا أفضل على نفسه وأصحابه فهو ، وإن قلّ عمره ، طويل العمر ؛ ومن كان عيشه في ضيق وقلّ خيرَه (3) على نفسه فهو وإن طال عمره قصير العدر .

— قال الذئب : انّه كان يقال في أمور ثلاثة لا يجتريء عليها إلاّ أهوج ولا يسلم منها إلاّ قليل^ه : صحبة السّلطان ، وائتمان النّساء على الأسرار ، وشرب السّم على التّجربة (4) .

— قال الثعلب : قد يُبْلَغُ الخَضْمُ بِالْقَضْمِ (5) ويركب الصّعب من لا ذلول له (6) ، وليس يواظب على باب السّلطان أحد فيلقى عن نفسه الأنفة ، ويتحمّل الأذى ، ويكظم الغيظ ، ويرفتق بالنّاس ، إلاّ خالص إلى حاجته من السّلطان (7) .

[4 - 9] — قال الذئب : إنّه كان يُقال : لا / تغتبط بسّلطان مع غير عادل ولا بغنى من غير حلّ ، ولا ببلاغة من غير صدق ، ولا بجود من غير إصابة ، ولا بحسن عمل من غير خشية .

(I) أ. العراء .

(2) ليس الرّي عن الشافي ، مثل مجمع ج II ، ص 190 .

(3) انظر كليلة ودمنة ، ص 64 .

(4) انظر كليلة ودمنة ، ص 67 .

(5) أ. قد يبلغ الخضم الفضح ، مثل مجمع ج II ، ص 93 .

(6) مثل ، مجمع ج II ، ص 417 .

(7) انظر كليلة ودمنة ، ص 66 .

— قال الثعلب : إنه ينبغي للعاقل أن يداري الزّمان مداراة
الرجل السّابح في الماء الجارى وقال متمثلاً (1) : أرض من المركب
بالتعليق (2) .

— قال الذئب : السّبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو
السبب الذي يحول بين الحازم وطلبته .

— قال الثعلب : المال زيادة في القوت والرأي ، وليس
الاحوان والأهل والأعوان إلاّ مع المال ، ولا يُظهر المرؤة إلاّ المال ،
الأنّ من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً فقد به العدم فقصر عنه (3) .

— قال الذئب : إنّ للسلطان سكرات ، فمنهما الرضى عن بعض
من يستوجب السخط ، والسخط عن من يستوجب الرضى ، ولذلك
قيل : قد خاطر من لجّج في البحر ، وأشدّ منه مخاطرة من صحب
السلطان (4) .

— قال الثعلب : من لم يركب الأهوال على صعوبتها لم
ينل الرغائب ، ومن ترك الأمر الذي لعله أن يبلغ فيه حاجته
مخافة ما لعله يسوقاه فليس ينال جسيمها ، وقد كان يقال : أعمال
ثلاثة لا أحد يستطيعها إلاّ بمعونة ارتفاع همّة وعظم خطر :
صحبة الملوك ، وتجارة البحر ، ومناجزة العَدوّ (5) .

(I) الممثل .

(2) أ. أرضى من المركب بالتعلق ، مثل مجمع ج I ص 301 ، انظر ايضاً

المستقصى ج I ، ص 141 .

(3) انظر ابن المقفع : الادب الصغير ، ص 52 ، كليلة ودمنة ، ص 287 .

(4) انظر كليلة ودمنة ، ص 94 .

(5) انظر كليلة ودمنة ، ص 67 .

فأعجب الذئب كلامه ، فأتى النمر ، فشكر له ، وأقام بين يديه ، وكان لا يعرفه بمثل هذه (1) الذئبة ، فافتتح الكلام فقال : أيها الملك ، إنني لما أنا عليه من المناصحة والموالاة تأملت باب الملك ، فوجدته خاليا من صالح الأعوان وثقات الخدم ، ولما رأيت الملك كثير الكلف ، عظيم المؤن ، رحب العناء ، جنز العطاء ، وليس له من عبده من يعينه على مؤنه ، ويكفيه الهمم من عمله ، ندبت نفسي للذي رأيتني أقوى عليه من حسن السياسة ، وضبط الناحية التي ، أتولاها ، ورد المنفعة على الملك منها .

فأعجب النمر كلامه وطمع فيما وعده فقال له : صدقت وبررت وأنا مستكفيك ومقلدك ، فانظر كيف يكون ضبطك وكفايتك [4 - ظ] وغناؤك ووفاءؤك بما شرطت على نفسك ؛ اكتب له يا غلام عهده على مناهل الظباء واجمع له أعمال ما هنالك .

فخرج الذئب إلى عمله ، واستخلف الثعلب ، وأحلته محل الوزير الكاتب . فلمّا صار إلى تلك الناحية كمن الذئب على شريعة الطريقت ، وربأ له الثعلب ، فأقبلا يصيبان كل يوم حاجتهما حتى صلحت أحوالهما ، ورقّت أوبارهما ، وصفت ألوانهما ، وتفتّقت سيمنا جلودهما ، ونحاس الذئب بعهده ، وأخلف وعده ، حتى اشتد ذلك على النمر ، فأمر بالكتاب إليه نسخته :

(I) بمثل بهذه .

« بسم الله الرَّحْمَان الرَّحِيم .

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وسلّم .

أما بعد ، فإن امرءاً لو صان ثوب نعمته لما مسه من عُرِي
 فاقتنه تمسكا بجبلها (1) لِمَا ناله من انقطاعها ، واحتمل عزّ الكرامة
 لما كان فيه من ذلّة الهوان ، كان ذلك أحجى بك دون أكثر أهل
 زمانك للذي كشف لك الدهر من وجوه عبره فأوضح لك عن مناهج
 سبله ، وعرفك من تصارييف نعمه ونقمه ؛ لكنك سميت وبطنت
 فاقتعدت الأشر (2) وامتطيت البطر ، ونعق بك الشيطان مستهويًا ،
 فسمحت له برأسك ، وطاع له جبينك (3) ، فأنت متكسع في جهالتك ،
 مبادر في ضلالتك ، تظن ألا يفتضح (4) أمرك ، ولن يتأمل تدبيرك ،
 وقد علمت ما أكّدت شرطك على نفسك ، وأعطيت عليه عهدك
 وذمتك ، فأقسيمُ لكن لم تخلع ربتق الشك من عنقك ، وتكف
 عن (5) جماحك ، وتعظ نفسك بالأمثال الجارية ، والمواعظ (6)
 المتقدّمة ، فستفك (7) على ما إن وقفت عليه أبصرت خطأك (8) ،
 ووقفت عند رشذك ، وتلافت ما فرط من زللك ، وعفيت على سوء

-
- (1) أ . بحيلها .
 (2) أ . الاثر .
 (3) أ . حينك .
 (4) أ . ينصفح .
 (5) أ . عرف .
 (6) المواعظ .
 (7) أ . فسنبك .
 (8) أ . حظك .

أثرك (1) [و] لأطأنك وطأة تكون رتيما (2) بعدها «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (3) .

فلما ورد الكتاب على الذئب أمر الشعب بقراءته عليه ، وأعظمه وأكبره ، ودخلته منه وحشة شديدة فقال : ما عندك من [5 - و] الرأي يا أبا الصباح ؟ / وما تظن أنه أخرج الملك إلى هذا ؟

— قال الشعب : إن الملك استبطأك فيما كنت وليت له إذ أخلفت له بوعدك ، وأكذبت به - ظنك ، فحررتك بهذا الكتاب ، ولئن لم تدارك هذه الهفوة ، وتتلاف (4) هذه الزلة ليحلن الخطب ويعظمن الأمر ، وان الرثيئة تفتشاً الغضب (5) .

— قال الذئب : أتراني أمحض أمرا أغترب فيه عن وطني ، وأتعب فيه بدني ، وأبيع (6) له ديني ، حتى إذا بلغ إناه ، وانتهى منتهاه ، آثرت بزبدته غيري وأثقلت (7) بوزره ظهري ؟ كلا فاكتب له جواب كتابه وبالغ فيه .

— قال الشعب : من ينكح الحسنة يعط (8) مهرها ؛ إن زخرفة الكلام لا تثبت زلل الأقدام ، وللصدق آثار في القلوب لا

(1) أ . سوآترك .

(2) أ . رليما .

(3) قرآن ، س 26 ، آية 227 .

(4) أ . تتلافى .

(5) أ . وان الدنية بفناء الغضب ، مثل مجمع ج I ، ص 10 .

(6) أ . واتبع .

(7) أ . ثقل .

(8) أ . من ينكح الحسنى يعطى مهرها ، مثل : مجمع ج II ، ص 360 .

تعفوها (1) عواصف رياح الكروب ؛ فإن ظننت أنه يكفيك فيما قد عتب فيه الملك عليك حتى تستحقّ به قبول معذرتك ببراءة ساحتك أن أصوغ لك كلاماً إذا نشر على العاقل استبرعه (2) واستحسن نظمه ، فلقد امتدّ بك البهتان ، وخطت فيما لم يخطىء فيه انسان (3) .
 - فقال له الذئب : اكتب ولا تراجعني . فكتب له كتاباً نسخته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وسلم .
 أما بعد ، فقد وصل إليّ كتاب الملك بما عاتب فيه وأوعد عليه ، وفهمته ؛ فأما ما ذكره الملك من ربك عيش تناسيته (4) وثوب ضرّ لبسته ، وظفر من دهر خدشني ، وناب منه جرحني حتى استنقذني الملك [من] غُمرّة (5) العطب ، وانتاشني من هوة الهلكة ، وما بدا لي بذلك من تصارييف وجوه الضرّ حتى استحققت بذلك أن أكون لرشدي مبصراً وللطريقة (6) المثلى سالكاً ، فإنّ الأيام بحمد الله ومنه لم تكشف منّي هياباً ورعاً ولا هلعاً ضرعاً ، وإنّي لكما قال الشاعر :

(1) أ . لا تعبوها .

(2) أ . استبرعه .

(3) أ . وحطيت بما لم يحط به انسان .

(4) أ . ناسيته .

(5) أ . عمرة .

(6) أ . لطريقة المثلا .

أخو خمسين مجتمع أشدّي ونجدتني مداورة الشؤون (1) على أن يد الملك عندي بيضاء مشكورة ليست بمرفوعة ولا مكفورة ، [5 - ظ] طلعتها في قلبي نضيد ، وظلّها عليّ ممدود ، خصبة / خضرة ، أغذوها بماء الشكر وأنميتها بجميل الذكر ، لا يحصدها تقادم الأيام ولا يقدح فيها بزئد الملام ، وارتضع ذرتها (2) فواقاً عن فواق فأعترف (3) منها بسجّل ذي عراق ، فأين ذهب الملك في ظنه وأنا ابن نعمته والشارب في بلهنيته ، ذراني (4) جناحه وكنفتي رجائه ، يعقلني وزره وينجيني عصره ، أفلا يربّ الملك - أمتع الله به - نعمة أنشأ شجرتها ، وأظهر ثمرتها بنوافله العظام ومننه الجسام ونعمه التوام ، فقد أسهرني وعيده وأقلقني تهديده وأجزعني (5) توليه ، وأرضني تجنيته ، على أن علمي باتباع حلمه عني يضمن لي العفو منه عن زلتي ، فإن يطلق الملك أسرى (6) من موجدته فذلك ظني برحمته ، وإن تكن الأخرى - وأعوذ بالله منها - فيالها عشرة لم يوقّ حاذرها ، وبالها حسرة يستنجد عاثرها ، وها أنا ذا بين يدي الملك ، صريع سطوته ، وعتيق عفوته إذ هو كما قال الشاعر :

(I) البحر الوافر والبيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، انظر الاصمعيات ،

ص 3 .

(2) أ . ذرتها .

(3) أ . فاعترف .

(4) أ . دراني .

(3) أ . أجرعني .

(6) أ . اسرتي .

ان يعاقب يكن غراما وان يُعْطِ (1) جزيلًا فيآته لا يبالي (2)
والسّلام .

فلمّا ورد الكتاب على النّمر سرّه ما وصف به الذّئب نفسه
من الشّكر ، وما أشار به في كتابه من الاعتذار ، وما أقرّ به من الذّنب ،
ومسألته إقالة عثرته ، ووضع ذلك منه على حسن إنابته ومراجعتّه
عقله ، وتعلّقت نفسه بورود (3) هداياه وتحفه ، فكان لذلك منتظرا ،
وعن رسله سائلا ، -تتى مضت لذلك أيام (4) وشهور لا يرى شيئا ،
فوجد منه وجدا شديدا ، وأمر بالكتابة إليه بتوّبيخه ولائمتّه
والاغلاظ عليه في مخاطبته نسخته :

بسم الله الرّحمان الرّحيم .
وصلّى الله على سيّدنا محمّد النّبىّ الكريم .

أمّا بعد يا غرور ، ومن استرعى الذّئب فقد ظلم (5) ،
[6 - 9] فإنّ النّعم إذا امتدّ مهلها بالعبد مسامحة له برغد العيش وكف (6)
العسر / استعذب موارد البطر واستوطأ (7) مركب الا شر وأسلس

- (1) أ . يعظ .
(2) البحر الخفيف والبيت للأعشى ، انظر الديوان ، ص 9 .
(3) أ . لورود .
(4) أ . أياما .
(5) مثل ، مجمع ج II ، ص 302 .
(6) أ . كفة .
(7) أ . استوطى .

قيادا لداعى شقائه وجار فى بلائه (1) ، فجرى فى كسف ليل
 داج على شفا جرف هار (2) ، يتورط المهالك (و) يخبط (خبط)
 عشواء (3) ، قد ذهل عن شكر النعم ، ولها عن ذكر الواجب ،
 أنسته خيانة (4) شكره خوالي حالاته وغوارب أزمته ، إذ هو
 غير موئل طلبا ولا مُسْتَبِقٍ (5) جهدا فى سدّ مخصمته وستر
 خصاصته ، لا تتسع حاله لدفع مذلة الفقر ، ولا يفك عن عنقه ربق
 وهَوَانِ الفاقة ، وذلك أت حين نالك (6) من نعم من لم تشكره على
 بلائه ، ولم تُجزّه بِالآئه ما تقدّمت به أشباهك ونظراءك ؛
 ولولا ما أحببت من أن أكون بالبع عذر ، ولا مرهق عسر ، ولا طالب
 اعتلال بترك مظاهر الحجج وتوكيدها ، قابضا يد العقاب قبل
 المداورة (7) وملبسا جناح الرحمة قبل النقمة (8) لأ مسكت عن
 الكتاب إليك والعلم لك (9) إلى أن تُبَسِّلَ بما كسبت يدك ، «وما الله
 بظلام للعبيد» (10) ، فأقلع عن صباية غيئك (11) ، وتنكّب خطل

- (I) أ. أساس قياد الداعى شقائه وجارى بلائه .
 (2) عبارة قرآنية ، س 9 ، آية 109 .
 (3) انظر مجمع الامثال ، ج I ، ص 201 .
 (4) أ. غيانة .
 (5) أ. مستسبق .
 (6) أ. نالتك .
 (7) أ. المداره .
 (8) أ. النعمة .
 (9) كذا .
 (10) عبارة قرآنية ، س 41 ، آية 46 .
 (II) أ. عحك .

رأيك ، إذ باب التوبة لك مفتوح ، وبطانها يقبول إنابتك (1)
مشعوب قبل أن يسقط بك يد الافراط على التوب ، ولا يبعد الله إلا
من ظلم والسّلام . »

فلما ورد الكتاب على الذئب أخذه ما قدم وما حدث فقال :
با أبا الصّباح ، أما تسمع إلى هذا الوعيد فرب صلف تحت الراعدة (2).

— فقال له الثعلب : أيها الأمير ، ان النمر — وان كان
من الأخلاق الضيقة على ما قد عرفت وعرفنا — فقد تردى
برداء الملك ، ودعي باسمه ، وسار بسيرة نظرائه ، والملك صبي الرضا ،
كهل الغضب ، يأمر بالقتل وهو يضحك ، ويستأصل شأفة القوم وهو
يمزح ، يخلط الهزل بالجد ، ويتجاوز في العقوبة قدر الذئب ،
وربما أهفله الأمر اليسير ، وربما أعرض صفحا عن الخطب
الكبير ، أسباب الموت والحياة معلقة بطرف (3) لسانه ، لا يعرف
ألم العقوبة فيبقي ، ولا يؤذّب عن بادرة فينتهي ، يخطيء فيصوب ،
[6 - ظ] ويصيب فيفرط ، مفتون (4) الهوى فظ الخليقة / أخرق العقوبة ،
لا يمنعه من ذي الخاصة به ما يعلمه من حزمه وعنايته وطول
صحته أن يقتله لخطرة من خطرات موجدته ، ولا ينفك أن يُخطب
إليه مكانه ، وينافس الرجال موضعه ، فلا الثاني بالأول يعتبر ،
ولا الملك على مثل ما فرط منه يزُدجر (وإن لم بين ذلك لخطرات

(1) أ. أناتك .

(2) أ. قرب صلب تحت الواعدة ، مثل ، مجمع ، ج I ، ص 294 .

(3) أ. بطرب .

(4) أ. مفنون .

محمودة لو حصلها ذو اللب لم ير في خيرها عوضا من شرها ولا حلوها ما يقوم بمرها) ؟ ، فارفق به واسلك سبيل موافقته فإنك راع عليه في ولايته ، ولا تأخذ به في طريق العجب فيأخذ بك في طريق القهر والغلبة .

— قال الذئب : قد علمت ما أردت من النصيحة ، ودللت عليه من الرأي ، وهديت له من الصواب ، وليكنني امرؤ لم أرم الذل أنفي قط ، ولم أقسم على خطة خسف ، وقد أظهر هذا الملك من غضبه ما فسدت معه نيته ولا صلاح لها .

— قال الثعلب : ان الموجودة (1) إذا كانت عن علّة كان الرضا موجودا ، وإذا كانت عن غير علّة عدم الرضا ، لأن الباطل لمن طلبه موجود على كل حال .

— قال الذئب : الموت اذن لا محالة ! ولأن (2) أموت عزيزا أحب إليّ من الحياة ذليلا ، وكلّ شيء بقدر .

— قال الثعلب : ان الأقدار وان كانت نازلة فليس تمنع (3) الحازم من توقي المخوف [و] الاحتراس من المحترس منه ، لكنّه يجمع تصديقا بالقدر وأخذًا بالحذر .

— قال الذئب : ان سريع الاسترسال لا يكاد يستقلّ العثرة ، فاكتب جواب هذا الكتاب بين الإلانة والإغلاظ ، ولا تؤخر ذلك .

(1) أ . الموجودة .

(2) أ . لين .

(3) أ . يمنع .

ففهيم عنه الثعلب ما يريد من شقّ العصا ، وما يهيمّ (1) به من الخلاف ، وما دخله من العجب بما أفاد فكتب إليه كتابا نسخته :

« بسم الله الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ .

صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم .

أما بعد فإنّ كتاب الملك - أمتع الله به - وصل إليّ بما [٦١ - ٧٠] حذّر فيه وأنذر ، وقدّم وأخّر ، وفهمته وقد كان الملك - حفظه / الله - أسند إليّ أمر هذا الثغر المخوف على حين انتشار من العدو به ، وانقطاع من سبله ، واختلاف من الكلمة بين أهله ، وتفرّق من الأهواء فيه ، فرأيت (2) صدع الآفة ، وجمعت شمل الطاعة ، وكشفت دجمة الفتنة ، وأسغت الرّيق بعد الشجاء ، وقمعت أولي العداوة والبغضاء ، وأقمت حقا كان معلمه متروكا ، ودمغت ضلالة كان محرّمها مسلوكا ، ألتمس بذلك جزيل الثواب ، وكريم المآب ، ورضا الملك والزلفة عنده ، فعاد ما عملته هباء ، ولم أجد منه شيئا مشكورا ، وما يقعق لمثلي بالشنان (3) ، واني لألوى بعيد المنتشر (4) ، فإن يَسْتَم الملك صنيعته ، ويربّ نعمته فأنا بين العصا ولحائها (5) ، والا فسيجدني جذلَ حِكَاك (6) إذا نكأت قرحة أدميتها (7) ، أحمر ضرابا بالسيف والسّلام . »

(1) أ. بهم .

(2) أ. رأيتيه .

(3) مثل ، مجمع ج II ص 26I ، البيان والتبيين ، ج II ، ص 309 .

ج III ، ص 92 .

(4) أ. لا لواءا بعيد المنتشر ، انظر اساس البلاغة ، ص 48 ، والعقد ،

(5) مجمع ج I ، ص 92

(6) أ. جدلا حكاك ، مثل ، مجمع ج I ، ص 160 .

(7) مثل ، مجمع ج I ، ص 28 . والصيغة التي يوردها الميداني هي : اذا

حككت قرحة ادميتها .

فلما قرأ الملك الكتاب علم أنه قد أجمع على الخلاف عليه والمحاربة له ، فجمع وزراءه ، وكانوا ثلاثة ، فاستشارهم في أمره فقال أحدهم : أرى أن يكتب إليه [الملك] كتابا موجزا يعرف به ذات نفسه ، ويكشف ما في صدره ، حتى يأتي الملك على ما يأتي من أمره عن بيّنة واستظهار عليها بالحجّة .

— قال الوزير الثاني : أرى أن يتلافاه الملك ، ويصفح عن زلته ، ويتجافى له عما في يده ، فإنه إن بودى بالعداوة احتيج إلى محاربته ، وإلى جمع الرجال ، وإنفاق الأموال بالأضعاف لما كان ينجلب من الخراج بناحيته ؛ ثم لا يدري كيف تكون العاقبة إذ هي الحرب ، والحرب سجال (1) ، فإن تكن الحسنى فبعد نفاذ المال وسفك الدماء ، وإن تكن الأخرى جلّ الخطب ، وتفاقم الأمر ، ودمن العدو بكل مكان ، وأشربت الفتن ، وإنه كان يقال : أكيس القوم من لم يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا ، فإنّ النفقة فيه من الأنفس ، والنفقة في سائر الأشياء من المال ، ومن يؤاكل الفيل يؤاكل الحين .

— قال الوزير الثالث : لا أرى تلك ولا هذه ، ولكن أرى [7 - ٥] معاجلته / ومناجزة الحرب قبل استفحال أمره ، واستغلاظ شأنه ، واستجماع مكائده ، فإنّ السلطان لا يستكثر إنفاق مال عظيم على إصلاح الناحية اليسيرة ؛ وما الصلاح في ذلك بخاص لناحية العدو دون سائر النواحي والأطراف ، فإنّ أعناق أهل الفتن بكلّ ثغر خاضعة ؛ ومتى رأوا أن سنّة السلطان في من نبذ أمره جارية على

(1) مجمع ، ج I ، ص 214 .

ما أشار به الوزير الثاني من النظرة مدّوا للفتنة أعناقهم ، ووضعوا
أثقال فرائض السلطان عن ظهورهم ، وبسطوا أيديهم ، واتصل لذلك
ما لا صلاح معه في دين ولا دنيا .

فأخذ النمر بقول الوزير الأوّل فأمر بالكتاب إليه نسخته :

« بسم الله الرَّحْمَان الرَّحِيم .

صلى الله على سيدنا محمد النبيّ الكريم .

أما بعد فإنّي رأيتك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى ، فإذا
نظرت في كتابي (1) هذا فاعتمد على أيهما شئت ، فإن كنت
سلماً فأقبل ، والا فاذنّ بحرب والسلام . »

فلما قرأ [ه] الذئب أيقن بالشرّ وعلم ألاّ هوادة (2) له عن
النمر ولا غيره ، فدعا الشعب فقال له : ما ترى ؟

— قال الشعب : إن الرعيّة لا تقوى على حرب الملوك ، ولا
تقدر على مغالبتها .

— قال الذئب : وكيف ذلك ؟

— قال الشعب : إن الرعيّة لا نظام لأمرها ، ولا بقاء
لصبرها ، ولحرب الملوك معدنان أحدهما من الآخر ، بلقاحتهما
يتبع النصر وبقوتهما يستنبط الماء من الحجر ، وبسارهما يطقأ

(1) انظر صبح الأعشى ، ج 4 ، ص 391 (رسالة يزيد بن الوليد الى مروان

ابن محمد) .

(2) أ . هواد .

الشر ، وإذا استمرا لم يثبطا ، وإذا اعتمد عليهما لم ينهكما (1) ، من عاندهما مخذول ، ومن خادعهما مردول ، ومن ساجلهما مسجول ؛ فلا تهتكنّ عنك شيئا وصلت الطاعة حباله ، واتعظ بمن عاند الملوك في آماذ الدهور ، وانظر إلى ما آلت إليه حالهم ، فإنّ لك في ذلك معتبرا ، ولك فيه منظرا .

— قال الذئب : وما هذان المعدنان اللذان حذرت شأنهما ، وعظمت أمرهما ؟

— قال الثعلب : هما المال والرّجال [وهما] من الملوك [٤١٠ و .] وهما للملوك دونك ؛ وقد كان يقال : من غالب الملك الحاذق (2) / الأريب المصنوع له ، الذي لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء ، فإنّ حينئذ يحدوه ؛ وقال بعض الحكماء : معاداة الملوك كالسّيل بالليل ، لا تدري كيف يأتيك ، ولا كيف تنقيه ؛ فإمّا أتيت الملك حتّى تضع يدك في يده سلما ، وإمّا أن تتخذ وزرا تلجأ إليه ، أو مدخلا فتحرز نفسك فيه ، فإنّه كان يقال : ليس للعدو الذي لا يُطاق ولا تمكن الفرصة فيه إلاّ الهرب منه ، فلا أعرفك مترددا في أمرك ومتحيرا حتّى تؤخذ بخطمك (3) فتندم ، فلا تقال من ذنبك ، وقد قيل : إن رمت المحاجزة فقبل المناجزة (4) ، واعلم أنّ الرّجال ثلاثة : حازمان وعاجز ، فأحد الحازمين من إذا نزل به

(1) أ . لم يقبظا واذا عليهما لم ينهضا .

(2) أ . الحان .

(3) أ . بحطمك .

(4) أ . ان رمت المحاجزة قبل المناجزة ، مثل ، انظر اساس البلاغة ،

ص 447 ، مجمع ج I ، ص 40 .

الأمر من البلاء لم يدهش ، ولم يذهب قلبه شعاعا ، ولم يغرب رأيه عن حيلته التي يرجو بها المخرج من ورطته ، وأحزم [من] هذا المتقدم ذو العدة الذي يعرف الأمر قبل وقوعه ؛ وأما العاجز فالذي لا يزال في التردد والتّحير حتى يهلك (1) .

— قال له الذئب : ليس الأمر كله كما وصفت ، وإنما الحاجة في الحرب إلى النجدة .

— قال الثعلب : إنّ النجدة يدركها الزلزل من خطإ الرأي وقد يجزي الرأي بلا نجدة ، ولا يجزي البأس شيئا يستغني فيه عن الرأي .

— قال الذئب : اكتب له بتجديد الخلاف عليه فإن الصّدق ينبيء عنك لا الوعيد (2) ؛ فكتب إليه :

بسم الله الرّحمان الرّحيم .
صلى الله على سيّدنا محمد النبيّ الكريم .

أما بعد فقد قرأت كتابك بما كشف عن ضميرك ، وبين عن ضعف حوليك ، تأمر بالمسير إليك والوقوف بين يديك [أو] الاذن بحربك والترقب لكيدك ، فطالما جريت (3) على غوايتك ، وتمتعت بظلالتك مغترا بالسلامة (4) ، آمنا لعواقب الندامة ،

(1) انظر كليلة ودمنة ، ص 86 .

(2) مثل مجمع ج I ، ص 398 .

(3) أ . أجريت .

(4) أ . مغتر السلامة .

تستفتح (1) بالأمانى أمورك ، وتشدد بالآمال خديمك ، وقد عوّذتك (2) الأيام حيف دولها ، وأجرتك حبل غرورها ، وأغفلتك [عن] نصب خدعها ، وألبستك حليل متّعها ، واستخفك مهل الزّمان ، وأعجبك كشرة الخول والأعوان ، حتّى ظننت أن صرعتك حرام على الدّهر ، وأن يومك / منسي إلى الحشر ، كأنّك لم تر أولي العناد الظاهر ، [8 - ط] والعزّ القاهر ، وذوي التّحاشد والتّناصر قد طغوا فبغوا ، وبؤسوا (3) فاجتروا ، وأوسعوا فأفسدوا ، فكيف قطع الدّهر آمالهم ، وضعف أركانهم ، وهدم بنيانهم ، وفرّق جماعتهم ، وصدع شملهم ، وفلّس حدّهم ، وأسلمهم إلى مصارع خزيهم ونوازل النّقم بهم ، تضرّبهم يد الأمن بسيف الاغتّار ، وترميهم الطّمأنينة عن قوس العثار ، ويجيء الزّمان عليهم بشقاء الأقدار ، فدحرجتهم من الأيام الثّقّة ، وتغيّرت لهم من الزّمان المقّة ، فصاروا إلى الهون بعد القوّة ، وإلى الذلّة بعد العزّة ، وتلك عاقبة من أضاع الحقّ ، وغمط النّعمة ، واستشعر النّخوة ، واشتمل بالعجب آفة العقل ، وادّرع للحاجة بقوى الهوى ، فتحسبني (4) عود المنكسر ، وهشيم المحتظر (5) ، كلاً بل عصبّت بالساعد الأشدّ ، ودّهيت (6) بالخصم الألدّ ، ورميت بالحجر المصدّ ، شوكة (7) طعنكم الله بحدّها فلا ينتعش شابكها ،

(1) أ. فتستفتح .

(2) أ. عودتك .

(3) أ. وبسوا فاجتروا .

(4) فتحسنى .

(5) أ. المحتضر ، عبارة قرآنية ، س 54 ، آية 31 -

(6) أ. رميت .

(7) أ. شكوة .

ولا يخبىو لظاهما ، بها شجي العتاة المتكبرون ، والظلمة الجبارون
 مثلك ، فسارِقَ على ظلمك (1) أيها النمر ، فإننا لن تحمل أبداننا
 ذلّ سلطانك علينا ، ولن نظلم أنفسنا بحكمك فينا ، وليس لك
 عندنا إلاّ حدّ السيوف ، وملاحم الزحوف ، ومطاوله الأبطال ،
 ومنازلة الأقران ، ظلك منا خافق البنود ، وشمك منا سهك
 الحديد ، فإن رجعت عن التهورّ بحسن التدبير فذلك أحجى بك ،
 وإلا فيأتي بما أدنت به أدين .

فلما ورد الكتاب على النمر أقلقه ، وآلي لیسقین الأرض دمه ،
 وأنهض لمحاربتة نمرا يقال له الوثاب ابن المتهش (2) قد جرسته (3)
 الحروب ، ونجدته الوقائع ، له صولة في العدو وهيبة في صدور
 الرعية ، وأمره بالإقدام عليه ومناجزته القتال ، وقدم إليه
 كتابه يربعه فيه ، ويملاً صدره ، ويفتّ عضده :

« بسم الله الرحمن الرحيم .
 صلّى الله على سيّدنا محمد النبي الكريم .

[9 - 9] / أما بعد ، يا ابن اللكيعة وعبد العصا ، أيا الحرب تخوفنا ،
 ونحن فلقّ جوائنها ، ومراضع ألبانها ، ومثير عجاجها
 ورهجها ، وخائضو أغمارها ولججها ، وسحائب الدماء بسيوفنا
 تنهّل ، وبروقها من صفائحنا تنكّل ، فنحن أبناء الخوف ،

(1) أ. فاربغ على طلعك ، انظر أساس البلاغة ، ص 289 .

(2) أ. الجنهش .

(3) أ. حرسته .

وفصلات (1) السيوف ، ما نجم قرن فتنة إلاّ جددناه ، ولا سعى علينا
 فيها باغ الا أبرّناهُ ، معاقلنا السلاح ، ولقاؤنا الكفاح ، إذ الموارد
 حياض الحمام ، ومياهما كؤوس السمام نَعْلٌ فيها ونُهَيْلٌ ، ونُحْمَل
 إليها ونَحْلٌ (2) ، فلو رأيت رحي الردى تدور ، ودماء الأبطال
 تقور ، والقرن إلى القرن يشور ، حين لا يسمع فيها إلاّ العويل والهدير
 والتمقط (3) والزفير ، اذا الواءلت (4) إلى عَصْرٍ يحصنك ، وللجأت (5)
 إلى وزر (6) يعصمك ، ولعضضت على أناملك بالندم ، ولات ساعة
 مندم ؛ فأيقن أيها المغرور السادر في غيّه (7) بيوم قد أظلك
 تبدو كواكبه ، وتحفّ بك مواكبه كما قال فيه الشّاعر :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الظلام اظلام (8)
 وذلك يوم عليك ، أوله الدنيا ، وآخره الآخرة ، فأين حينئذ
 من الله الهرب وهو الطالب ، وفي يده المطلوب ، أفعلينا تطلق (9)
 عقال الفتنة ، وتوقد نار الحرب احتراسا للتحف المسورود ، واكتسابا
 للأمر الموعود (10) مكابرة لأمر الله تبارك وتعالى في قضائه ،
 واحتراسا لمجارى أحكامه ، قد سول لك الشيطان أمانى كلمع

(1) أ. فضلات .

(2) أ. نمل وتهل وتحمل فيها وزحل .

(3) أ. التمنط .

(4) أ. لما وآلت .

(5) أ. ولا لجأت .

(6) أ. وزير .

(7) أ. غبه .

(8) البحر البسيط والبيت للنابغة الذبياني ، انظر العقد ، ج ١ ، ص 95 .

(9) أ. نطلق .

(10) أ. الموفو .

السراب وهيهات منها الشراب ، وقد جرّدت لك وثاب بن المنتهش
الحامى للحقيقة ، والذابّ عن الحفيظة ، الطالب لوترنا (1)
والمحافظ (2) على أمرنا ، يخترقك بسيفه ، ويقترشك (3) بطرفه ،
ويلقيك في الهوة (4) ، فانظر في موضعك فإنك إنّما تقمع على دمك ،
فإن أبيت فليدين وللفم (5) والسّلام . »

— قال : فلما ورد الكتاب على الذّئب ملاً صدره رعباً ، وأيقن
[٩ - ٥] أنّه ملاق / حرباً ؛ فقال للشّعب : يا أبا الصّباح ماذا ترى ؟

— قال الشّعب : إن الرأى مثل الشّجرة توتى أكلها كلّ
حين موقوت ، فإذا فرط جناها أضعت حظك منها ؛ وقد كان
لك عن المكروه مندوحة إذ كان الرأى غير مشكل ، فأما الآن فأيقن
أنك ملاق ، فشمّر للحرب عن ساق ، وقد أرى سلاحك جميعاً ، وبدنك
ضليماً ، وجثمانك ثابتاً ، وجأشك رابطاً ، فالق وثاباً بجذك وحدك ،
ولعله أن يكون قد أظلك . فما افترقا حتّى رأيا الغبرة طالعة فخرج
إليه الذّئب ، فالتقى ، فقال له وثاب : علام يقتل الاصحاب بيننا ؟
هلمّ إلى المبارزة فإنّها عدل في الحكومة ، وفصل في الخصومة .

— فقال الذّئب : إن بين النفوس فضلاً ، وليس ما دعوت إليه
يعدّ عدلاً .

(1) أ. لوترنا .

(2) أ. الحافظ .

(3) أ. يفتشك .

(4) أ. الهوت .

(5) مقتبس من المثل : تعسا لليدين وللفم ، انظر مجمع ج I ، ص 133 .

— فقال وثّاب : ليس يثبت الفضل بادعاء الفضل ، ولا القول بغير الفعل ، فأرنا من ذلك لنفسنا ما يكون مصدّقاً (1) لقولك ، وشاهداً لحكمك . فتغاورا ، فضربه وثّاب بكفّه ، فمزق إهابه ، ونهشه الذئب ، ففرا أوداجه ، فسقط ميتاً ، وأنفضّ عسكره ، وحمل مكابراً مضروباً وقيراً ، فما لبث أن برأ وصلاح حاله .

وأتى الخبر التمر فأفظعه قتل وثّاب وانفضاض عسكره ، فجهّز جيشاً آخر أمر عليه نمرا من ثقات أصحابه يقال له خدّاش بن عضاض ، معروفاً بالنجدة والبأس ، كامل العدة والسلاح ، وقدم إليه كتاباً إلى الذئب نسخته :

« بسم الله الرَّحمان الرَّحيم .
صلى الله على سيّدنا محمد النبي الكريم .

من ملك النّمور المظفر بن منصور إلى الطاغية الشبيهة باسمه مكابر بن مساور ، سلام على من اتّبع الهدى ،

أما بعد ، فإنك لم تمرّ (2) بقتل وثّاب صوب سحاب ، ولا استدررت به عذب شراب ، بل مرّيت به سوط عذاب وكأس سلّجٍ وصاب ، لو قد رأيت حلق الحديد مضاعف التشديد ، وخوافق البنود محضوفة بالجنود ، وبوارق السيوف تضحك إلى الزحوف ، [10 - 9] وتفترّ / عن الختوف ، والقنا يتحطّم ، واليلب يتهشّم ، والأسنة ترعف ، والقلوب ترجف ، والفرائض ترعد ، والسواعد تخضد ،

(1) أ . قصد ، الحرف الأخير غير واضح من أجل خرم في المخطوطة .

(2) أ . تمر .

والهام تفلتق ، والرقاب تعلق إذا لاستبدلت (1) بفرحك ترحا ،
 وبسرورك برحا ، وباغتباطك ندامة ، وبتفريطك ملامة ، وبجدلك
 إبلاسا (2) ، وبطمأنينتك (3) أنحاسا ، واعلم أيها المغرور أن الباطل
 دولة ينصرها (4) حيف الدهر ؛ وتسلفها (5) الايام بالقهر ،
 وتنكبها غلبة (6) الانذال وحجج الجهال ، ويحوطها حساد النعم
 وسقاط الهمم ، ويحسي عنها أولوالخمول وذوو الضعف في العقول ،
 حتى إذا ظن ساداتها وقاداتها أن قد استغلظ سوقها ، وخيئت بروقها ،
 وقام عمودها ، واستحكم سريرها ، ونطق صموتها ، وتمرد
 هيئتها ، واستجمع كيدها ، وتأرب عقدها ، تاحت له يد الحق
 فحصدت هشيمه ، وخضدت جميمه ، واختلبت (7) برقه ، وصرفت
 ودقيه ، وردت كيده ، وأوهت أيده ، وكسرت عموده ، وأوهنت
 شديده ، وأخرست ناطقه ، وطمست شارقه ، وتلك معقبات إليها تصير ؛
 فغلبة (8) الباطل تمحيص لأولي [ال]لباب واختبار [ل]عقول ذوي
 الآداب ، وظهور أهل الحق نقمة في المجرمين وعقوبة للمذنبين ؛
 وقد وجهت للقائك خدأش بن عضاض ، منازل الاقران وأخا
 الحرب العوان ، متزرا بالحزم ، ومتيقظا بالعزم ، يقدمه النصر ،

(1) أ . لستبدلت .

(2) أ . افلاسا .

(3) أ . بطمأنينك .

(4) أ . يبصرها .

(5) أ . تسلط .

(6) أ . عليه .

(7) أ . اختلب .

(8) أ . فغلبت .

ويتبعه الظفر ، لا يبقى ولا يذر ، حتى يعصبك عصب (1) السلمة ، ويحلك دار النّقمة ، خارجا من سعة العطن إلى ضيق الاسر ، ومن عزّ القدرة إلى ضيم (2) القهر ، ومن خلاء الصّرع (3) إلى خشوع العبوديّة ، ومن جنل الغنى إلى خضوع الاستكانة ، قد أسلمتك جرائرك ، وأوبقتك جرائمك تتلف على فرطانك ، وتحاول قبول التّوبة ضرعا ، وأنتي لك بإقالة العشرة بعد سوء الصرعة فلا أبعد الله غيرك والسّلام . »

فلمّا ورد الكتاب على مكابّر دعا بالثّعلب فاستشاره وقال :

[10 - ظ] أنا والله ما / أفلت من وثاب الا بيجرّيعة الذقن (4) ، وخداش من قد عرفت ثابت (5) القدر ، بعيد الأثر ، رابط الجأش ، شديد البأس ، وإنتي لأراني (6) بلفائه مغرورا ، وبالنكول عنه جديرا ، فما ترى ؟

— قال الثّعلب : ليس الغرر ان لا يثق [المراء] (7) في الحرب بالظفر .

— قال الذّئب : ان لم يكن الاقدام على غير الثّقة غررا فما الغرر ؟

-
- (I) أ. يعصبك غضب ، انظر مجمع II ص 17 .
 - (2) أ. ضيق .
 - (3) أ. الصرع .
 - (4) أ. بخديعة الدفن ، انظر القاموس المحيط ، ج III ، ص 12 .
 - (5) أ. ثبت .
 - (6) أ. لا اراني .
 - (7) أ. ليس الغرر ان يثق في الحرب بالظفر .

- قال الثعلب : بإضاعة النظر .
- قال الذئب : أو ليس قد قالت الحكماء : ركوب الغرر خطأ
- قال الثعلب : صدقت ولكن لكلمتهم هذه عبارة مجملة تحتها معنيان ، فأحدهما (1) إن كان عن الهول مندوحة فركوبه خطأ ، وإلا فركوبه صواب .
- قال الذئب : فما موضعه في الخطأ وموضعه في الصواب ؟
- قال الثعلب : إذا كنت راكبا (2) هولا لاجترار نفع دونه مقنع ، أو لدفع ضرر له مدفع ، فدفعه خطأ ؛ وإذا كنت دافعا به أعظم منه أو مضطرا إليه غير مزحزح عنه فمدفعه صواب .
- قال الذئب : قد فهمت ما قلت غير واحدة ، فأين [الهول] الذي أعظم من هول الحرب ، وهو لها الموت ؟
- قال الثعلب : دخول النار ولا لزوم العار .
- قال الذئب : فصيف لي الحرب .
- قال الثعلب : الحرب بدن له طبيعتان مختلفتان وخلق واحد يقوى ويضعف ، فطبيعته علة الخصمين وخلقة الرجاء ، وعلّة الخصميين من اختلاف الأمر بين الفريقين ، وخلقه أن كل فريق

(1) أ . فأحدهما .

(2) أ . ركبا .

منهما رام أن يدرك بغيته ولو اتفق الخصمان ماتت الحرب ، ولو زال عن أحدهما رجاء الظفر سلم الآخر .

قال الذئب : قد زعمت أن بدن الحرب يثبت على اختلاف طبيعته ، ولسنا نجد الآن بدنا يثبت إلا على ائتلاف (1) الطباع وتمازجها فكيف وقع تشبيهك بضد معنك ؟

— قال الثعلب : انه ليس بضد ، ولكن إنه ليس حياة بدن الانسان بتاتفاق (2) طبائعه في معنى واحد ، ولكنه يترك تغالبها وهي مقيمة على اختلافها وإن زال التغالب عنها ، فاستخِر الله واستعمل قول لبيد شعرا :

وأكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالأمل (3)

11 - و : / قال : فلم يستما ما هما فيه الا وخذأش قد طلع بالعساكر وخرج الذئب ؛ فلما ترأيا (4) دعا للبراز ، فمشى إليه النمر وهو يقول :

أنا خدأش وأبي عضاض
له صفاء وله بياض
وفي يميني قاطع رضاض
كأنه برق الثرى الوماض (5)
صينت به الاحساب والأعراض
في الهام من آثاره عضاض

(1) أ . ائتلاف .

(2) بتفاق .

(3) البحر الرمل ، انظر ديوان لبيد ، ص 80 .

(4) أ . ترايا .

(5) أ . الوفاض .

فمشى إليه مكابر مرتجلا وهو يقول :

أنا أبو الفراء وابن المنتهس وفي يميني ضارب القبس
كأنه برق يمانني في الغلس يفلق الهام ويودي بالنفس
فهو لأرواح العداة مختلس صينت به (1) الاعراض من ليل دنس

فضربه خدأش بكفمه ضربة فخلع يده ، ونهشه مكابر فألقى
حشوته ، فخر النمر ميتا ، وحمل الذئب مغشيا عليه ؛ فلم يزل
يعالج حتى برىء ؛ وبلغ النمر قتل خدأش ، وتفرق عسكره ،
فسقط ما في يده ؛ وظن أن ذلك سبب لزوال ملكه ، ففزع إلى
وزرائه وأهل نصيحته ، وكانوا ثلاثة ، فعنى إليهم أخاهم خدأشا
واستشارهم ، فقال أحد الوزراء الثلاثة :

– أرى عداؤكم قد درب في أكلكم ، وولغ في دمائكم ،
فوجهوا إليه جمعا كثيفا وقائدا حازما يناجزه القتال ، ولا
يتركه للمطال ؛

– قال الوزير الثاني : أرى أن دواء الشق أن تحوصه (2) ، بل
أرى مواعدهته حتى تفنى مدته ، فيأتي لا آمن أن يهزم لكم
جيشا آخر من جيوشكم ، فيقارعكم على أبوابكم فاتركوه ما
ترككم .

– قال الوزير الثالث : انكم إن أنهضتم إليه بعضكم فما
آمن ان يكون كاللذين قتلوا منكم ، وفي ذلك عليكم ما أعوذ بالله

(1) أ. أ. له .

(2) مثل ، مجمع ج I ، ص IO .

منه لكم ، وإن وادعتموه ، واجررتموه رسنه ، وأطغيتموه زمنه ،
 وسوغمتموه وطنه ، والمسال الذي احتجنه ، اشتدت (1) شوكته
 واستجمعت مكيدته ، واستعجل أمره ، وبعد في الأرض أثره ،
 II - ظ] فانقضت (2) الاطراف ، وظهر في رعيتمكم الخلاف / وأرى أن ينهض
 الملك إليه بنفسه في قواده وشيعته وانصاره وأرباب دولته ، فإنه
 لا يقوم لحرب الملوك إلا الملوك ، وفي النفقة عليه ربح عظيم ،
 وفي الامساك عنه (3) خسران مبین ، وفي اجتثاث (4) أصله نبات
 فرعكم ، وفي قتاله حياة لكم .

فأخذ الملك برأيه ، ونهض إليه في عدده وعتاده وأنصاره
 وقواده ، وبلغ الخبر الذئب فملئ رعبا ، وفزع إلى الثعلب فقال :
 يا أبا الصباح قد بلغك هذا الخطب الفادح ، واحتجت إلى رأيك فأشر
 به ، فلمثل هذا كنت أحسبك الحسى (5) .

— قال الثعلب : قد كنت استشرتني في أول هذا الأمر فلم
 أدخرك نصيحة ، وكرهت لك مثل هذه العاقبة ، وحدرتك وبال
 الصرعة ، فعصيتني وغويت ، حتى انكشف بالخلاف قناعك ، وانقطع
 به عذرك ، وأشرت عليك بلقاء أكافيك ، ومدافعة نظرائك من
 أعدائك ، وأطعتني ورشدت ، ثم قد أظلك من هذا الملك ما لا طاقة

(1) أ . فاستدت .

(2) أ . فانقضت .

(3) أ . عليه .

(4) أ . اجهثات .

(5) مثل ، مجمع ج II ، ص 190 .

لك به ، فإن استطعت أن تبغني نفقا في الارض فتدخل فيه ، أو سلّما في السماء فتصعد إليه فافعل ، فإنك غير قيرن له ، ولا بذي يد تحويه ، وأذت بظفره ، إن قاتلك لم ترتفع منه جراحك ، ولم يقم به مجالك ، ففتح (1) عن سننه، وغيب شخصك عن عينه ، فإن أطعني لم يكن موضعك للأمير بدار ولا محلّة قرار ، فإذا انصرف عنك فعد (2) إليه وأقم على ما أتت عليه ؛ وإياك وحيرة الشك وطمع الرجاء ، فإنّهما أقوى أسباب البلاء .

فعزم الذئب على الهرب ، ثم رأى أن يستثب (3) في رأيه ، فدعا ذئبا من إخوانه ، فعرض عليه ما أشار به الثعلب ، فسفّه رأيه ، وفند مشورته ، وقال : لئن هربت لَمَا تنال به من إضاعتنا أكثر (4) ممّا يناله عدونا ممّا ، ونحن بهذه الجزيرة كريش منشورة ، ما لنا جحر ينجينا ، ولا منفسح في الأرض يسعنا ، وان / الطلب ليدرك وإيانا ، والتفتيش عنا يظهرنا ، وسجد الثعلب أدنى جحر ، فلا يُعرف له خبر ، ولا يسقط له على أثر ؛ وقد قال بعض الحكماء : إذا لقي (5) اللاقى عدوه في المواطن التي يعلم أنّه هالك فيها إن قاتل فيها (6) غيره أو لم يقاتل فهو حقيقتي أن يقاتل (7) كرما

(1) أ . ففتح به عن .

(2) أ . تعد .

(3) أ . يستثت .

(4) أ . اكثر اكثر .

(5) أ . لقا .

(6) أ . فى .

(7) أ . حقيق ان لم يقاتل ، انظر كلية ودمنة ص 198 - 199 من الطبعة

الخامسة للمرصفي ، وص 82 ، من ط . الأب شيخو 1965 .

وحفاظا ؛ ولكنني أرى قتاله حزمًا وإمضاء (1) الرأي فيه عزمًا ، فليست الحرب بمظاهرة الأبدان ولا بكثرة الأعوان ، ولكنها بمنافذ (2) البصائر ، والصبر عند الحوادث ، والغص فيه للأبصار ، والتسليم للأقدار .

فأخذ الذئب برأيه ، واطَّرح رأْي الثعلب ، وظهر للحرب ؛ فلمَّا دنا للقتال كمن له النمر كمينًا حتَّى إذا التقوا بالسلاح ، [و] وقعت في الفريقيين الجراح (3) ، خرج السكين على الذئب من ورائها ، ومال النمر عليها فكان مكابِر أو [ل] (4) مقتول ، واستلجَم النمر عسكره ، واحتوى عليه ، وأسَر كل ذئب فيه وأخذ الثعلب معها أسيرا ، فأمر بضرب أعناقهم ، وأكل لحومهم ، حتَّى إذا وصل السيف إلى الثعلب صاح بأعلى صوته : عندي نصيحة للملك . فتمثَّل النمر [ب]بيت قيل في محمَّد بن طلحة شعرا :

يذكّرني حاميم والرّمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدّم (5)

— فدعا به فقال له : يا خبيث ما نصيحتك (6) هذه ، فطالما غششتنا ، وسعيت في الفتنة علينا ، وجريت بالبغي في الفتنة لهلاكنا .

(1) أ. أمضى .

(2) أ. بمنافذ .

(3) أ. الجراح .

(4) أ. أو .

(5) البحر الطويل والبيت لشريح بن أوفى العبسي ، انظر لسان العرب

ج II × ، ص 151 .

(6) أ. نصحتك .

— فقال له الثعلب : أيّها الملك ملكت فاسمح ، وإن أحببت أن تزداد سعة في ملكك وبسطة في حديثك فاستبقني .

— قال له النمر : إنني لأحبّ ما ذكرت ، فأمن لي به .

— قال له الثعلب : إن أفضل المكنون بصالح القلوب ، وأنفع الأموال اتخاذا السوالي ، وعندى لك خمس نصال احداهن خير من كثير المال .

— قال النمر : وما هي ؟

— [قال الثعلب]: نصيحة لا يدركها فضيحة ، وأمانة لا تشوبها خيانة ، وطاعة لا تقدح فيها معصية ، وخدمة لا / تخالطها سامة ، ورأي لا يتعقبه الخطأ . [12 - ظ]

— قال النمر : هذه عدات وقد يخلف الواعد ، والمصدق بما لم يعلم به مخدوع .

— قال الثعلب : ففي الامتحان اختبار ، وفي التصفح اعتبار .

— قال النمر : أجل ولكن في المراحة (1) عنك إضاعة الفرصة منك ، وقد قال الحكيم : (صناعة الأيام الهلب وشرط الزمان (2) الآفات) . ثم التفت إلى وزرائه فقال : ما تأمرون ؟

— قال أحدهم : هذا عدو ، وقد كان شغل بعداوتكم عقله ، وثنى على بغضكم رحله ، وطوى عليه كشحه ، فكيف تطمثون إلى

(1) المراحات .

(2) لم نتمكن من فهم معنى هذا الكلام .

نصيحته ؛ لقد اجتهد في نقض ما أبرمتهم ، وسعى في حلّ ما عقدتم ، وإنّما يريد بهذه من خديعة لتزول قدمه عن مقام عقوبته ؛ وقد مسّه من ألم جراحكم ، وذل الأسر فيكم ، ما لا يصلح معه قلبه ، ولم يؤمن غشّه ، فالرأى لكم أن تقتلوه وتطمثنوا بالراحة منه ؛ وقد قالت الحكماء : العاقل لا يرحم من يخافه .

— قال الوزير الثاني : ما أرى قتله ، إذ ليس بندي سلاح فيتقي كيده ، ولا ذي قوّة [ف]سيخاف أيده ، وإنه لأوحد بهذه الجزيرة ما له بها من عشيرة ، وهو من ضعف البدن على ما ترون ، ومن الذلّة على ما تعلمون ؛ ولئن قتلتم ثعلبا تخوفاً (1) منه ، ورهبا له ، ليكونن ضعفا من أموركهم ، وصغرا من همّتكم (2) ، فليسعه عفوكم يعظم به أجركم ، ونحوه عن أبصاركم يفتح عن قلوبكم .

— قال الوزير الثالث : إنّه ليس يمنع العاقل عداوة عدوه من مقاربتة التماس ما عنده إذا طمع في دفع (3) مخوف . واحتراز مرغوب ؛ وقد ميّزت بين الحظ من الثعلب في المنّ عليه ، وبين قضاء الوطر من العقوبة له بدمه ، فرأيت ما فرط من فعله لا يعدله الانتقام منه بقتله ، وعاجل الاستماع بالتطوّل عليه ممكن فيه ؛ فهبوا حرمة مسألته العفو عنه الانتظار منه ، فقد قال المتمثل (4) :
إذا ارجحن شاصيا فارفع يدا (5) .

(1) أ . تخويفا .

(2) أ . مهمكم .

(3) أ . رفع .

(4) أ . المتمثل .

(5) أ . بشاصيا ، انظر أساس البلاغة ، ص 155 .

– فأجابه / الوزير الأول فقال : إنه ربّ عداوة باطنية
 ظاهرها صداقة وهي أشد ضررا (1) من العداوة الظاهرة ؛ والعقل
 يفى لمن صالح بما جعل له ، ولا يشق بما جعل لنفسه بمثل ذلك
 من عدوّه ، ولا يؤثر على (2) البعد عنه والاحتراس منه ما استطاع
 شيئا ، ومن كان أصل أمره عداوة ثم أحدث صداقة لحاجة حملته
 على ذلك فإنّه إذا ذهب الأمر الذي أحدث ذلك صار إلى أصل أمره
 كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد باردا ، وقد كان
 يقال : الضعيف أقرب إلى أن يسلم من القوي إذ هو قد احترس ... منه ،
 ولن يعتريه [ما يعتري القوي] (3) إذا اغتر بالضعيف ، واسترسل
 إليه ، ولا أعلم (4) ترك العقوبة إلاّ عجزا أو ضعفا .

– قال الوزير الثاني : ان القادر من قدر على الشرّ ، والعاجز
 من لم يقدر على أن يبغى (5) دفع ذلك ، فلا أعزّ ولا أثبت أركاننا ،
 ولا أبذخ بنيانا ، من إيتاء (6) المكارم واكتساب المحامد ، وذلك
 أنّ عزّ التعظيم بالفعل الجميل باق في القلوب ومخلّد في غابِر
 الزّمان ؛ ومن تحصّن بالجود وتجرّ بالمعروف واستعار الحلية (7)
 ربطتها وسرّ بالها ظفر (8) بما نواه وربح ثواب الله .

(1) أ. ضرر .

(2) أ. عن .

(3) أ. اضطررنا الى هذه الزيادة ليستقيم المعنى .

(4) أ. ولا علم .

(5) أ. يسى .

(6) أ. اثناء .

(7) أ. الحلة .

(8) أ. وظفر .

— قال النَّمْر : فإِنِّي قد رأيت ان أعفوه عنه ، ولكن امتحنوه في مقامكم هذا ، واختبروا عقله بما تسمعون من صحّة حجّته ، وبيان صبرته ، فإنّ العقل ينتظم من أنواع أطباع الصّورة الجنسية ، (1) فإنّ رأيتموه موضعا لصحبتنا فألزموه (2) أبوابنا ، وإن لم يكن لها أهلا فادفعوه عنها ؛ وسائلوه بحيث أسمع .

فاستقبله الوزير الأوّل بوجهه فقال له : أخبرني عن الانسان وحاله ونقصانه وكماله ؟

— فقال له : معنى الانسان العقل إذا رزقه استحق اسم الانسان ، وإذا عدمه فقد نقص ، ولا يلزمه إلا اسم الصّورة . ثمّ قال : فإن لحق بعضا وقصّر بعضا فهو انسان ناقص .

— قال : فأخبرني عن العقل أهو شيء إذا نال الانسان أدناه فقد بلغ أقضاه ، أم الناس في نيله مستوون أم متفاضلون ؟

[13 - ظ] — / قال : بل متفاضلون .

— قال : فكيف دعى ذو الحظ اليسير منه باسم ذي الحظ الكبير ، فقيل لهما عاقلان وهما في العقل متباينان ، فهل يقع اللقب الواحد على ذوي الدرجات الشتى ؟

— قال : نعم وليس ذلك بخطأ من القائل ، لأنّ هذه الدرجات الشتى من جنس واحد ، واللغة تضيق عن هذا وما أشبهه أن تدعو (3)

(1) أ. فإن العمل ينتظم من انواع الاطباع الصورة الجنسية .

(2) فازلوه .

(3) أ. يدعو .

كلّ ذي درجة من درجات الجنس الواحد بلقب غير لقب الآخر ؛ ولو كلفت اللّغة ذلك لطال الكلام في غيره لتوزّع المعنى المستوجب للاسم ، ولكنها شملت كلها باللّقب الواحد ، ودعت المختلفين فيه باسم واحد .

– قال : فكيف يُعرف الناقص من الزائد وقد جمعهما اسم واحد ؟

– قال : بالتمييز وكشف المعرفة ، ومثل ذلك في اللّغة ما يدعى به أهل صناعة من الاسم الواحد ، وهم في تلك الصّناعة متباينون في الثّفاوت إذ (1) يقال : بناء [و] نجارون وتجار (2) وخياطون ، ولكلّ واحد منهم على صا-به في الصّناعة فضل أو عليه له فضل ، فالتّاس كلّهم مستوون فيما يلحقهم من النّقص في العقل ، وهم فيما أتوا منه متفاضلون : أحدهم فيه أكثرهم حظا منه .

– قال : كيف مرّت هذه الغاية ومنع ذوو العقل بلوذها ؟

– قال : لأنّ الغاية كمال ، والكمال صفة لا تصح إلاّ للخالق ، ولا يستوي الخالق والمخلوق في صفته تعالى الله عن ذلك .

– قال : فهل تحيط المعرفة بمقدار عقل الانسان حتّى إذا

أراد واصف أن يصفه لم يجاوزه حده إلى زيادة ، ولم ينقص عنه إلى نقصان ؟

– قال : إن ذلك ثبات المعرفة ، وقد يوجد الانسان ثابت

المعرفة بشيء وغير ثابتها بشيء آخر ، وخلال ذلك درج كثيرة ،

(1) أ . ان .

(2) أ . ونجار .

فلا يقدر على إحصاء ما ثبت فيه معرفة المرء مما لا يثبت إلا الخالق ،
غير أن قلوب أولى الألباب (1) وموازين معرفتها لا يزن بها أحد
بعد اختباره وصحة الفهم له إلا كادت تضعه في موضع بينها (2)
العدل منها ؛ وللقلوب (3) في ذلك بما طوقته من الفهم فضل على
الألسن بما طوقته من النطق ، وإن كانت تراجمة القلوب أسمى (4) ؛
[14 - 9] الا / ترى أن قائلًا لو اجتهد في وصفه لما أتى على كنهه معرفة
قلبه ، وليس ذلك لكلال من اللسان يلزمه عيبه ولكن الفهم عن المنطق
سبب نقصه (5) .

[قال : وما سبب ذلك] قال : سبب ذلك ان اللسان رسول والقلب
مرسل ولا يقوم الرسول مقام المرسل .

— قال : أخبرني على قدر ما أوتيتي كليل امرئ (6) من
العقل : أعرض اكتسبه بالتوفيق له ، أم خلة (7) فُطر عليها كامنة
في جوهره ؟

— قال : بل صنعة موجودة في ضريته .

— قال : فما موضع اللائمة للجاهل ؟

— قال : لو كان الجهل موجودا لا عقل معه لسقطت اللائمة ،
ولكن يكون للمرء جزء من العقل فيلزمه من اللوم بقدر ما أضعه

- (1) أ . أول .
- (2) أ . يغيبها .
- (3) أ . والقلوب .
- (4) أ . اسم .
- (5) أ . نصفه .
- (6) أ . أمر .
- (7) أ . حيلة .

بذلك الجزء ، فإن كلفه مكلف أكبر من طاقة (1) عقله فقد ظلمه (..)
 فهذا كثير من الناس أن يؤنب أهل النقص بأكثر من مقدار ما
 يلزمهم ، وإنما يؤتي اللائم (2) في ذلك من قلة معرفة بمقدار
 ما يسعه عقل المعلوم فيكلفه فوق طاقته ؛ ألا (3) ترى ان الذنوب
 إذا أصابها مصيب كشفت الحكام عن وجهها ، فميّزت الجهل من غيره ،
 فحكّمها في العمد - وهو ارتكاب الذنب مع المعرفة به - العقوبة
 عليه ، وفي الخطاء - [وهو] ارتكاب الذنب [جهلا] - إزالة العقوبة
 إذ ليس عن عمد القاذف (4) وتسقط مع ذلك عنه الملائم .

[قال] : فهل يسقط عن المذنب غير ذي المعرفة إثم فقد ذلك (5) ؟

- [قال] : هذا على أن العقوبة لا تجب إلاّ [على] ذي العقل
 المضيق ، وكذلك اللائمة عند من حصل إليها موضعاً .

- قال : فهل بالعقل حاجة إلى شيء يكون بمقارنته أحسن
 منه بمفارقته (6) ؟

- قال : نعم به إلى العلم أعظم حاجة ، فقد يكون الانسان (7)
 مطبوعاً على عقل ولا علم عنده ، فيكون مثله كمثل العطل لا نفع
 عندها إن بان عنها وترها ، فإذا اجتمعا بلغت المراد منها .

(1) أ. طاعة .

(2) أ. الايم .

(3) أ. الى .

(4) أ. القاذف جهلا .

(5) أ. اضطررنا هنا الى زيادة الكلمات ليستقيم المعنى .

(6) أ. بمقارنته .

(7) أ. اللسان .

— قال : فصف لي ذات كل واحد منها على حدته ؟

— قال : أما العقل فإنه قائم لكل محمود ، وجنة من كل مدفوع ، حياة النفس وراحة البدن ، مدته إلى السرور وأيامه إلى السلامة ، / جامع شمل المناهب [و] راجع فوت كل ذاهب ، كنف الرحمة ومفتاح الهدى (1) ، إتاحة المودة للصائبين والساقط بالظن عن اليقين ، وزارع الخير ومثمر الفطنة ، وحامي الهوى عن مراتع الهلكة ، لا يخبو نوره ولا يكبو زنده ، يجنيك ثمر العافية ويقيك محذور العاقبة ، يستصحب (2) الصنع ويربّ التوفيق ، مفتاح الخيرات ومعدن الصالحات ، عليه معول المحروم وفيه عوض من المعدوم ؛ وإنما العلم قياس الدين وشعار المتقين ، وحلّة العاقل وميزان العادل ، وحكمة الهدى ولسان أولي النهي ، مسلاة المحزون وفاكهة الحكيم ، وروضة يرتفع منها الفهم ، ومستراح لثقل الهم ، علق نفيس ، وصاحب في الغربية ، وأئيس في الوحدة ، كفه مألوف ، وحمله خفيف ، لا يعيب الإقتار من حمله ، ولا يزين المال من جهله ، المتجر به (3) يربح ، والطالب به ينجح ، لا يضع منه جهله ، ولا ينقص منه بذله ، ذائد (4) الجوارح عن الذنوب ، وحارس الأعراض من العيوب ، لا تملّه (5) الأسماع ، جنة عند معترك الحجج ، ودرجته أرفع الدرجات ، قلب العاقل به بهيج ، وصدر الجاهل به حرج ،

(1) أ. للهدى .

(2) أ. مستصحب .

(3) أ. التحربة به .

(4) أ. دايد .

(5) أ. لا تحله .

سلطانة منصور ومخالفه مشهور ، يزداد (1) طالبه كل يوم نشاطا ،
وبما يحوى منه اغتباطا (2) ، ذخيرة (3) الدنيا والآخرة .

— قال : فما يوصف به العقل والعلم معا ؟

— قال : إذا اجتمعا في امرىء فالحلم خلته وبه يقى (4)

عرضه ، والحذر جنته وبه يتقى (5) مكروهه ، والعزم سيفه وبه
يقطع حيرة شكه ، والظن سهمه وبه يصيب ما غاب عن عينه ،
والخير عادته وبه يدفع لاجاة سرفه ، والحزم لجامه وبه يقوم
مركب هواه ، والصدق لسانه وبه يخصم (6) من ناواه ، والصمت حلله
وبه يردع خطأ منطقته ، والرجا مطيته وبه يبلغ نجح حاجته ،
والتأسي (7) شعاره وبه يصون بدنه ، والصبر حصنه وبه يمتنع
من ندامة (8) عجلته ، والقناعة / عيره وبه يطأ عنق حرصه ،

[15 - و]

والحياء قناعه وبه يزداد مقت قحته ، والشكر وسيلته وبه يمتري من
يرى (9) النعم عنده ، والآمانة أمره وبه يتقى سوء الظن
عن نفسه ، والعفة سلطانة وبه ينال شرف عزه ، والإنصاف شيمته (10)

-
- (I) أ. ويزداد .
 - (2) أ. اغتباط .
 - (3) أ. دخيق .
 - (4) أ. يتقى .
 - (5) أ. يبقى .
 - (6) أ. يخصم .
 - (7) أ. اليأس .
 - (8) أ. بدامة .
 - (9) أ. ير .
 - (10) أ. شمته .

وبه يزيل مضرّة مَطْلَه والرضا ميدانه ، وفيه يجري إلى راحتته ،
ويحسم به سلطان غضبه ، والفكر عيناه وبه يقلّب عن التدبير ، وينظر
في عواقب الأمور ، ويقيس ما كان على ما يكون .

— قال : أريت من سلمه الاختيار فظهر منه بعض ما يكون
من خلال ، أَلَمْحَكُومٌ عليه به وموصوف بفضيلته ؟

— قال : لا استنى يعلم أنّه مختار تلك الحال الزكية على خلافها ،
وذلك أن الحمد إنما يقع على من جعل الاختيار بين الأمرين فاختار
أفضلهما وأسناهما ؛ وليس من صنعت خلقه على مثال بأهل إلى حمد
يستوجبه وإن كان مثال (1) خير ؛ الا ترى أنّه لا موضع للحمد الشمس
من نورها ، ولا القمر في ضيائه إذ [ذلك] فيهما تركيب ولهما لازم ،
ولا يقدر ان يأتيا بغيرهما ؛ وكلّ حلیم لم يذق مرارة الذل ، ولم
يطعم حلاوة الغلبة ، ولم يتجرع غيظ الضيم فليس بحليم ؛ وكل
جواد لا يخاف الفقر فيعرف قدر المال ، ولا ذلة الفاقة فيستمسك
بعزة الغنا ، فليس بجواد ؛ وكلّ شجاع لا علم له بألم الجراح
وقدر الحياة وما يحول من دونه من لذيد العيش فليس بشجاع ؛
وكل صبور ليس له على الصبر مندوحة ، ولا إلى الوله سبيل فليس
بصابر ؛ وكلّ مبتدئ نعمة عن رغبة أو رهبة لا عن تفضل لاكتساب
حمد أو أجر فليس بمنعم ؛ وكل قانع لا يجد مضطربا ولا من العدم
موثلا فليس بقانع ؛ وكذلك كل ذى خلة من الخير والشر لا يقدر أبدا (2)
على التحول عنها إلى ضدّها اضطرارا فلا موضع لحمده ولا لذمه .

(1) أ . منال

(2) أ . أحد

– فاقبل عليه الوزير الثاني وقال : سمعنا ما وصفت من
 الخلال المحمودة والآداب المرضية في أولي العقل ، غير أنا نجد (1)
 بعض ذوى الجهل يشركهم في كثير منها حتى يجتمع المتضادان في
 [151 - ظ] اسم الخلة الواحدة / فيقال (2) لكل واحد منهما عند السعة بالعطية (3)
 جواد ، وعند الاحتمال للمكروه والصبر عن الأذى حلیم ، وعند
 بذل النفس في البأس شجاع ، وعند طلاقة اللسان والفصاحة بالكلام
 بليغ ، وعند الرضا باليسير قنوع ، وعند السكوت صموت ، وعند
 النظر والتثبت متأن (4) ، وعند اتخاذ النعم منعماً ، وفي أشباه هذه
 الصفات فكيف يميّز العاقل فيها من الجاهل ؟

– فقال الثعلب : صدقت فيما وصفت ، غير أن العاقل والجاهل
 لا يجتمعان في خلة من هذه الخلال إلاّ باسم على ألسن العوام ، فأما
 المعنى فهما فيه مختلفان لا يلتبس حالهما على ذي حجبى ، وذلك
 أنّ لكلّ خلة مما ذكرت وتركت من الخلال المحمودة حدا لا
 يقف عليه إلاّ العاقل ، ولا يتجاوزه إلاّ الناقص ؛ فمن فهم ذلك الحد
 لم يدعُ باسم تلك الخلة الا من وقف عليه ، ولم يتجاوزه إلى النقص ؛
 فإن مال به عن ذلك مميل وسمه باسم الدرجة التي مالت به ؛
 وإنما يؤتى العوام عند صفاتها إذا وصفت من قلة المعرفة بحدود
 درجات تلك المنازل ، فيجتمع ذوو (5) المذاهب المختلفة بالاسم

-
- (1) أ. نجدوا .
 - (2) أ. فقال .
 - (3) أ. بالفتنة .
 - (4) أ. منان .
 - (5) أ. ذوى .

الواحد ، فحكم السامع لتلك الصفة واقع على خطأ ، ويقينه على خطر ، وظنه إلى غير صواب .

فأول ذلك العلم وحدّه العمل بما نيل منه ، وبه يستحق المرء اسمه ، (...). وإن أكثر من جمعه بيل هو باسم الشقاء أولى لطول نصبه (1) وذووب (2) تعبته معملا جوارحه (3) فيما لا ينفعه ، وذلك من عمل به جائرا عن قصد سبيله (4) فهو بالمنزلة الأولى ، ويلحقه اسم الضلال ، والضلال فرع الجهل ؛ ثم الحلم وحدّه استعماله عند صيانة العرض ، من أهل الضعة والخمول ، وانتعسف عن مكافأة الاكفاء على جرائمهم تكرما عليهم وسموا بالنفس عن المجازاة بالإساءة إليهم ، وبذلك يستحق اسم الحلم ، فإن تُجوّز به هذان [16 - و] الحدّان كان اسم العجز أولى به ، وأخو العجز ذليل / مهين ؛ ثم الجود وحدّه السماح بفضل المال (5) في موضعه بعد الكفاف ، وذلك استحقاق اسم السخاء ، فإن سمح به من غير حدّه فهو مغبون (6) ، فإن وضعه في غير موضعه فهو مبذّر (7) وإن جاد بكفاهه فهو مسرف ، وأخو السرف بغرض عدم ، ومن أعدم فلا مرؤة له ، ومن لا مرؤة له فلا حياء له ، ومن لا حياء له فلا دين له ، ومن لا دين

(1) أ. نصب .

(2) أ. ذووب .

(3) أ. حوارحه .

(4) أ. سبيله .

(5) أ. الحلال .

(6) أ. مقبون .

(7) أ. مبذور .

له فالموت خير له ؛ ثمّ الإقدام في البأس ولا تجده يجاوز احدى ثلاث (1) منازل ، إما الدنيا ينافس أهلها فيها ، وإما الآخرة يحرز (2) نصيبه منها ، أو حميّة عند الغضب . فأما الأولى فلا تجد تاجرا (3) يبدّل سلعته بأدنى من قيمتها الا جاهلا (4) ، والمقتحم في الحرب باذل نفسه دون قيمتها لطلب دنيا ، وذلك من الخسران الميسن ، فاسم الخزي (5) أولى به ؛ والثانية في طلب الآخرة ، والباذل لنفسه مستوف ثمن ما بذل (6) ، اذ الثمن باق والمبدول فان وتلك الشجاعة ؛ والثالثة (7) الغضب عند الحميّة ، والغضب هوج فلا يُدعى صاحبه إلاّ به إلا ان يكون منتصرا بعد ظلمه ؛ ثم ذرب (8) اللسان والترف (9) في الكلام فحدّه الإيجاز في القول والاصابة في المعنى وتلك البلاغة ؛ فإن أخطأ كان اسم الهذر (10) أولى [به] ؛ ثم طول السكوت فإن يكن اعتبارا (11) فهو صمت العاقل ، وإلاّ فهو عسيّ (12) الجاهل ؛ ثم الرضا باليسير ، فإن يكن احتسابا بالأجر

-
- (I) أ. ثلاثة .
 (2) أ. ينحرز .
 (3) أ. ناجزا .
 (4) أ. جاهل .
 (5) أ. الحزن .
 (6) أ. نذل .
 (7) أ. الثالث .
 (8) أ. درب .
 (9) أ. والشرف .
 (10) أ. الهدر .
 (II) أ. اعتبار .
 (I2) أ. على .

ونزاهة من مكسب السوء فهو قناعة والا فهو حمق ، والاستكانة
 بيعتها قلة الخيلة ؛ ثمّ التثبت (1) ، وطول النظر إن يكون نذيرا (2)
 للمحذور ونظرا في العواقب فهو تأنّ ورفق ، والا فهو حيرة وشتات
 في الرأي ؛ وكذلك إمضاء التدبير إن يكن ذلك عن معرفة بحيث لا
 تزلّ القدم فيه وتثبت فهو عزم وصرامة ، والا فهو عجلة المخطيء ،
 والمخطيء (3) فيها والمصيب غير محمود ؛ ثمّ الطول بالمنة ؛ والكريم
 يزرع النعمة في قلبه ، ويغاؤها / بشكره ، ويربها بتذكر مواقعها
 من خلده ، مستعظما لصغيرها (4) ، مستكبرا لقليلها أبدا حتى يموت
 بموته ؛ وكذلك اصطناع المعروف واكتساب الأجر ، والثّيم لا
 يجد للنعمة حسّا في جوارحه إلا ريثما (5) يجد من حلاوتها بين
 لهواته ، فإن تجاوزت حلقه نسيها ، وإن خطر بباله ذكرها
 استصغر عظيم ما أهدى إليه منها ، فاستثقل كثيرها ، وظن أنّ الذي
 نال منها بحق واجب له ، فذلك فساد المعروف وامتهان النعم وخسران
 المبدول ؛ ثمّ الغناء (6) والقدرة فخلتتهما عند (7) العاقل التواضع
 وخفض الجناح ، وخلتتهما عند (8) الجاهل التيه والاستكبار ؛ ثمّ

(1) أ. التبهت .

(2) أ. ان لم يكن نذيرا ، والمعنى لا يستقيم بالنفى .

(3) أ. والمخطى .

(4) أ. لصغيرها .

(5) أ. الاريب .

(6) أ. والغبا .

(7) أ. على .

(8) أ. على .

النسك ، والعاقل يتزَيَّن به ارتضاء ما في فضله فهو يتزَيَّد رغبته فيه ، والجاهل يتحلَّى (1) به رياء وسمعة وحيلة لبعض الأسباب (أو لعادة في غيره في بدنه كسائره) (2) ، ذلك العمل وإن طال الزمان عليه يرجع القهقري على عقبيه ثم يسير حتى تزول الشكوك عنه ؛ ثم الاعتذار من الذنب وهو من اللبیب إقرار به واستغفار منه ، وهو من الركيك إنكار له ونصرة لخطئه (3) ، فذلك معتذر بالإعتاب ، منيب للإحسان ، وهذا زائد في التعنت (4) ومصرّ على الاساءة ؛ ثم الرضا فهو للعاقل بنیان موطد (5) لا تهده خواطر الظنون ، وعود صلب لا يقدح (6) فيه سعي الوشاة ، وستر كثيف لا يهتكه حسدة النعم ، وهو من الجاهل كظلم الغمام أو كريشة في فلاة من الارض تخفق الرياح بها كل وجه ؛ ثم المشورة في الرأي ، فالعاقل يستشير عارضا للآراء على رأيه ، وقائسا بعضها ببعض حتى يقع اختياره على أسدها وأولاهها بالصواب طريقا ، والجاهل يستشير مترددا في أمره فيما يسمع من الآراء [لا يزداد] الا حيرة وسماع قلب وتقييل رأي (7) حتى يزل به المحذور ، ويلحقه المكروه (8) .

[17 - و] — فاقبل عليه / الوزير الثالث فقال له : أحسبك عاشرت خلقا ، فصفت لنا ما اختبرت من أخلاق من عاشرت من أولاد الدنيا وما بُنُوا عليه من الرّغبة فيها والمجانبة لها .

(1) أ. يتحلل .

(2) لم نتمكن من فهم ما بين قوسين . لعلها : او لعادة وغريرة في بدنه كسائره .

(3) أ. خطايه .

(4) أ. التعب .

(5) أ. موطدا .

(6) أ. تقدح .

(7) أ. فيما يسمع من الآراء الاخره وسماع قلت وتقييل راي .

(8) أ. يلحنه للمكروه .

— قال الثعلب : كلّ بلوته على شاكلته ، وعرفت هديه وطريقته ، وتصفّحت فنون مذاهبه ، فوجدت لهذه الناس جواهر قلّ منهم من يحدث في جواهره ، غير أنّ العرض المركّب في خليقته إلا يكن (1) متكلّفا لا ينبؤ (2) بغير كلفة ، ولا يسع ما يتحمّل من خلاف تهجينه ؛ والناس لعيونهم أشدّ تصديقا منهم لقلوبهم ، ولو رفع لأبصارهم بعض ما تسرّه نفوسهم ثمّ دعا إليه داع ودونه مهالك جمّة لكان من يتورط تلك المهالك — وهو يعرفها — أكثر ممن يصدّ عنها ، فالأبصار سامية إلى ذي السير الحسن ، والرواء الجميل ، والشارة الظاهرة ، والرياض الزاهرة ؛ فلا عجب لمن رأى ظاهر ذلك ، وجهل باطنه ، فوصل أسباب الطمع إليه ، ولكن العجب لمن فهم الباطن ، فعلم أنّ تزوّده منه سمّ ناقع ، فأكذب علمه ، وصدّق عينه ولمن (3) مال بندي الغشاء بصره ، وطمح به نحو كلّ مخيلة (4) بدرّة يمتري فيضة درّها إذا أقبلت ، ويتدبّص علائقها إذا أدبرت ، لا يزداد عن رأي الاظمّ ، ولا عن ظمّ إلا ولّها ، آثر الحاضر على (5) الغائب (فإنّي عاجلت على الغائب من باقي آجلته ، ثم لعلّه يكون في محلّ من شهواته قد اذقتّه الختوف ، وشرب بكأس المنون ، فخرس الأولى والآخرة لا يعظ الثاني ما أصاب (6) الأول ولا يغنيه (7) فضل ما منع به ، وهو كافيه على ازدياد فيه ،

-
- (1) أ . إلا يكون .
 (2) أ . ينبوء .
 (3) أ . ولما .
 (4) أ . محلية .
 (5) أ . من .
 (6) أ . صاب .
 (7) أ . يعنيه .

وهو بالعلم لا يحتاج إليه وآخر ممن أغفل الأمر الجليل وأضاع الحظ الجزيل وامتنع الا يغفل ويضيع ما دونه (1) ، وكان هذا التغلب (2) شامل أهل الدنيا الا أمراً وهب الله له غزير عقل ، ثم آتاه بالتوفيق ، فنكث كنانته ليسبرها (3) فعجم سهامها عودا عودا / فنزع بقدرح منها لم يزوره خطرات الشهوات فيطيش ، ولم يقدرح به كواذب الآمال فيضعف ، فحفزه من وتره بهمة (4) لم تُقصد بها دناءة وعزم لم يؤخره ارتياب ، فلم يعدد إذرماً أن صاب مقتل الدنيا ، فغادرها عرضة بلاء وصريعة قلى ، ولم يلتسق بقلبه حبها فبكى عليها ، ولا استهوته بروفقها فيحن إليها ، فهي لديه كالميتة لا يصيب من حطامها (5) الا عن اضطرار وغير باغ ولا عاد في بلغة حتى يدعى إلى مأدبة القرون الخالية فيجيب ؛ وأما الآخرون فأخيف شتى ضرائبهم ، قد منع كل واحد منهم بالسرّ الحاجب له عن معرفة نفسه (6) وفهم فضيلته عن غيره ، فهو يحتسب بالفضل عليه ولو لقي الجهل [و] المرض (7) ؛ ولو صححت عقولهم لخربت الدنيا ، فلما فطروهم عز وجلّ أشتاتا فضل بعضهم على بعض في الدرجات ، وساوى بينهم في الموت ؛ وقد كشفت خصائل الأقسام فوجدت مودة الجاهل وعداوة العاقل

-
- (1) أ . الكلام الذى بين قوسين لم يتمكن من تحقيقه تحقيقاً يمكن من فهمه .
 (2) أ . الثعلب .
 (3) أ . ليسيرها .
 (4) أ . مهمة .
 (5) أ . خطاها .
 (6) أ . نفسه له .
 (7) أ . ولو ألفوا للجهل المرض .

أسوة في الخطر ، ووجدت الأُنس بالجهل والوحشة من العقل سبيين
 في العيب ، ووجدت ظن العاقل أوقع بالصواب من يقين الجاهل ،
 ووجدت غش العاقل أقل ضررا (1) من نصح الجاهل ، ووجدت (2)
 العاقل أحفظ لما يستكتم من الجاهل ، ولم أجد لكذوب حياء ،
 و [لا] لجريص غناء ، ولا لشرة أمانة ، ولا للثيم (3) رحمة ، ولا
 لذئيم سمعا ولا بصرا ، ولا لبخيل صديقا ، ولا لمستظرف عهدا ،
 ولا لحسود راحة ، ولا لقتنوع عدما ، ولا لفاسق حرمة ، ولا من
 الناس سالما ، ولا لمرارة من الخلق مسيغا ، ولا من نفسه منصفا ، ولا
 راضيا عن زمانه (4) ولا عدلا إذا خالف الهوى .

— قال : فصف العاقل ؟

— قال : العاقل موفق (5) للرشد في كل أمره ، ولا تلقاه
 إلا ناصحا للولاية ، موقرا للرؤساء ، متقادا للفقهاء ، موفيا (6)
 للاخوان ، متحرزا من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا
 [18 - و] مخادع / للأخيار ولا متحرس بالأشرار (7) ولا شاغب (8) على الناس
 ولا بلاح للمستلط [ف] ، ولا مرح في الولاية ، ولا بخيل في الغناء ،

-
- (1) أ. ضرر .
 - (2) أ. ووحده .
 - (3) أ. للاج .
 - (4) أ. زمانه .
 - (5) أ. موفق .
 - (6) أ. موتبا .
 - (7) أ. بلاسرار .
 - (8) أ. شاعب .

ولا ذليل في الفاقة ، ولا جالس في الغضب ، ولا منقاد للهوى ، ولا
مكذب بالقضاء ، ولا متمسك عليه ، ولا متكلف ما لا يطيق ، ولا
يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا ما
يقدر أن يستفيد [به] ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من العناء ،
ولا يفرح لما يقال فيه إلا بما يرى نفسه أهلاً [له] علماً منه أن
تكلف ما لا يطاق سفه ، وأن السعي لما لا يدرك عياء (1) نفسه ،
وأن وعد ما لا ينجز فضول ، وأن الانفاق من غير الفائدة خرق ،
وأن طلب الجزاء بغير العناء سخافة (2) ، وأن بدوغ المنزلة بغير
استحقاق إشفاء على الهلكة .

— قال : فصف الجاهل ؟

— [قال] : هو من تراه يتناقض (3) في كلامه ،
ويعجب بحديثه ، ويعاود صوته بضحكه ، ويوقع الظن في غير
موضعه ، ويسترسل بالمزاح إلى غير أهل الثقة ، ويعرض عن العام ،
ويجيب إلى غير فهم ، ينصرف (4) إلى الرأي في غير كنهه ، ويجانب
الفقهاء ، ويماري الحكماء ، ويكثر اللجاج ، ويظلم في المعاشرة ،
فإن نزع به مركب سوء ، ونابيه العرق (5) اللثيم مال به الحرص
على الشر كل ميل ، فكثرت أمانيه ، وبخل بما في يديه ، فإن سبقته
يده بفلته بر كدرها بالمن ، وأحدث لها تيها على المبرور ،

(1) أ . عيا .

(2) أ . سجابة .

(3) أ . هو ان تراه يتناقض .

(4) أ . يصرف .

(5) أ . الغرق .

وإن استغنى بطر ، وإن افتقر استكان ، يفرح بالتأفة واليسير ، ويذل للطمع الحقيير ، يريق (1) في اللؤم فطنته ، ويحوطه حذره في التمسك ، مما ظفر به من مال والتخليص (2) لما دبّ عنه من نشب ، أنفذ وأبلغ من سائس الحرب التي يريق فيها دمه ودماء أصحابه بألطف التدبير ، وأخفى الفطن وأشد (3) الحذر ، وأوضح النظر ، يرى أن أحدا لا يستوجب النعمة سواه فالحسد / يحمله على استصغار ما حمله غيره . - وهو يتمنى بعضه - واستعظام ما في يده وهو مجتهد في الازدياد منه (4) .

- قال : فقد يوجد ذو الحظ من العقل إن اجتمع له كثير من محمود الاخلاق ، ولا يخلو من نقص ما وصفت به ذا النقص من مذمومها .

- قال : قد أعلمتك أن أحدا لا يكمل في كلّ الخلال حتى لا يأتيه عيب من بين يديه ولا خلفه ، ولكن ذا اللبس اذا خالطه بعض المساويء كان له من عقله ساتر يحجبه عن أعين الناس ، فإن لم يقدر على ما ستره أحسن مداراة نفسه حتى ينصرف عنه قبح الاسم منه إلى ضده ، فيقال للجبن منه حذر ، وللبخل منه تقدير ، وللمسبة فيه انتصار ، وللحرص اكتساب ، وللعبي صمت ، وللفظاظاة (5)

(1) أ. يزق .

(2) أ. التخلص .

(3) أ. انشد .

(4) أ. اليه .

(5) أ. خالطة .

(6) أ. وللفضاضة .

قوة . وإفراط العقوبة تأديب ، وللغضب عزّ (1) ، وللجزع رقّة ،
 ولسوء الظنّ (2) حذر ، وللعجلة عزم ، وللعصبية أنفة ، وللخطأ
 قضاء ، وللظلم اقتدار ، وللإغترار تفويض ، وللمهانة خشوع ،
 وللهذر بلاغة ، ولترك المشورة استغناء ؛ وحسن هذه الاسماء كلّها
 منصرف في الجاهل إلى قبحها ؛ فإن استعمل الجاهل طلبا للعلم
 طلب منه ما لا يعرفه ، وإن استعمل الجود بذّر ، وإن استعمل
 الشجاعة قتل نفسه ، وإن استعمل البلاغة هذر فأذى جليسه ، وإن
 استعمل القناعة ترك الاكتساب وأفضى (3) إلى المسألة ، وإن تحلى
 بالمروءة خامره الملال فمّل الحبيب فضلا على غيره ، وإن استعمل
 الظنّ اتهم نفسه ، وإن استعمل النصيحة تنزّع فيها إلى ما لا يحتاج
 إليه (4) ، وإن استعمل الأنس استرسل إلى كلّ من بلغ من الناس ، وإن
 تكلف الصبر تعرّض للبلاء ، وإن حظي بالطاعة عصي ربّه ، وإن أخذ
 نفسه بالشكر شكر على غير معروف ، وإن نصب لعدوّه حباله
 علّقها عنقه / [19 - 9] وإن استشعر الحذر أعمله في أكثر مما يكرهه ،
 فكان كطائر كان أكله السمك فنشب بسمكة في (5) حباله صياد
 فلم ينزل يضطرب حتّى تخلص ، فكان بعد ذلك لا يرى سمكة إلا
 ظنّ أنها حباله منصوبة ، فترك الصيد حذرا حتّى مات هزلا وضرا ؛
 وإن أظهر السرور أكثر الضحك . وإن استعمل الاحتمال رأى العسف (6)

(1) أ. غبز .

(2) أ. الضن .

(3) أ. أضفى .

(4) أ. إليها .

(5) أ. فيها .

(6) أ. الحسفة .

وأقام على الظلم ، وإن تدبر أفسد أكثر ما يصلح ، وإن تأتت أمسك عما به يعنى ، وإن استشار شاور الأشرار .

— قال : فأخبرني عن الأحمق الداهي من أبين أتاه الدهاء والمكر أهو .— ووصوف بالنقص ؟

— قال : لن تجد منه ذلك إلا في دقائق الأمور وسفاسفها (1) وذوات الدناءة منها ؛ ولم يؤت الأحمق من التدبير المستبطن للدهاء ولطلب الحيلة شيئا الا وذو الحجى فيه أقوى سببا ، وأبلغ مراما ، وأوفر فيما يريد فيه حظا ، ولكن شرف همة اللبيب وكرم طبعه يحجبانه عن استعمال فهمه فيما نظر فيه الاحمق ونطق بحيرته ، وكثيرا ما تجد ذلك في شرار الناس وسقاط الاماء ؛ وقد قال بعض الحكماء : عرفت كل شيء ما خلا الرعناء (2) ، فلا تحسبن (3) ذلك من الاحمق فضلا فيه قصر عنه المقدم في اللب عليه ، ولكنه لما أعلمتك .

— قال : فما الدليل على شاهد المرء من عقله قبل ابتلاء خبره وتصفح أيامه ؟

(1) أ . سفاسفها .

(2) أ . الرعنا .

(3) أ . تحسبه .

— قال : ضد ما ذكرنا من شاهد الجاهل ، غير أنه ليس يقع بالشاهد الحسن حكم على غائب العقل ، كما يقع (1) بالشاهد القبيح حكم على الجاهل ، وذلك (2) ان خلال الفضل قد يتكلفها من ليس أهلها ، ولا يتكلف خلال النقص من لم يطبع عليها ، فلربما رأته في المجالس وحيث تضعه المحافل حلما وقورا صموتا ، فإن أعطى له (3) لسانا سمعت له بيانا يقيم به الأمور ، ويشاركه [19 - ط] أهل الحكمة في التدبير ، فإذا قام عن مجلسه / وأفضى إلى تدبير نفسه رجعت منه إلى عقدة ضعيفة ، وقوة موهونة ، ورأي معتل ، وجناب من الخير معطل .

— قال : فإن أتاه الحلم والوقار والعبارة واللسان ؟

— قال : يكون قد سمع مجالس الأخيار وفضائل الأبرار ، فتكلف من ذلك في وقت عقله مقدار ما يتزين به ، ويصير فيه على مفارقة مقدار سجيته كالمستعير ثوبا يتجمل به عند ذوى حشمة ، فإذا فارقههم رد الثوب على أهله .

— فأقبل عليه الملك فقال : أيها الثعلب ، من صغرت الدنيا في عينه ؟

— قال : من كسرت عليه نفسه .

— قال : فمن أعظم الناس قدرا ؟

— قال : من لا يبالي بالدنيا عند من كانت .

(1) أ . لا يقع .

(2) أ . ولذلك .

(3) أ . أعطى .

- قال : أي الأعمال أفضل ؟
- قال : اجتناب المحارم .
- قال : أي الناس أعلم ؟
- قال : أشدهم لله خشية .
- قال : فأَيُّ الناس شرّ ؟
- قال : العالم إذا فسد .
- قال : فمن لا علم له ؟
- قال : من لا نيّة له .
- قال : فمن لا مال له ؟
- قال : من لا رفق له .
- قال : فمن أحق الناس بالرحمة ؟
- قال : عالم يجوّز (1) عليه حكم جاهل .
- قال : فمن أحق الناس بالرجاء ؟
- قال : من (2) لا يُرجى .
- قال : فمن الموفق للخير ؟
- قال : الراضي باليسر مع سلامة الدين .
- قال : فمن المتعرّض للشر ؟
- قال : الراضي بالكثير مع فساد الدين .

(1) أ . لا يجوّز .

(2) أ . ما .

- قال : فمن المعاود للحسنة (1) ، الزائد عليها ؟
- قال : المربح بها والمستغل لها (2) .
- قال : فمن أخدم الناس للدنيا ؟
- قال : الحريص لطول الأمل .
- قال : أي شيء لأموار الناس أخوف ؟
- قال : الإصرار على الذنب .
- قال : فمن أين يطلب الرزق ؟
- قال : من حيث تكفل به العبد .
- قال : فمن أين لا يطلبه ؟
- قال : من طالب مثله لا ضمان عليه ، إن وعده أخلفه
وان ضمن له خاس به .
- قال : فمن أولى الناس بالحدز ؟
- قال : من تتابعت عليه النعم وهو مقيم على المعاصي
- قال : فمن أعظم الناس رزية ؟
- قال : من ضيَّع النفس وأخطأه العقل (3) .
- قال : فما ألد شيء ؟
- قال : الإفضال على الإخوان .
- قال : فمن الصافي له لسان الثناء ؟
- قال : من صفا من / الخنا .

(1) أ . حسنة .

(2) أ . المستغل .

(3) أ . أخطأه .

— قال : فمن القصير الهمّة ؟

— قال : الراضي بالفناني (1) العاجل من الباقي الآجل

— قال له الملك : فصف لي الدنيا .

— قال : الدنيا والسدة الموت ، وناقضة المبرم ، ومرتجعة

العطيّة ، وكلّ من فيها يجرى لما لا يدري ، وكل مستقرّ فيها

غير راض بحاله ، وذلك دليل على أنّها ليست بدار قرار ، غرارة

غير مأمونة ؛ من استرسل إليها أهانته (2) ، ومن قلاها أكرمته ،

تُحوج من بانث (3) عنه ، وينالها من لم يكن يرجوها ، طالبة

مطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى توفيه (4) رزقه

فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه (5) الموت حتّى يخرجها (6) منها ، دار

فناء ومنزل قُلعة ، رغب عنها السعداء ورغب فيها الأشقياء ،

فغناها فقر ، وعلمها جهل ، وخطوبها (7) صروف ، وأيامها دول ،

وإن امرأ (8) آخره الموت لحريّ (9) أن يزهد في أوله .

— قال : فمن العارف بها ؟

(1) أ . الباني .

(2) أ . هانته .

(3) أ . بادت .

(4) أ . توبية .

(5) أ . طلبته .

(6) أ . حتا تخرجه .

(7) أ . حطوبها .

(8) أ . امرأ .

(9) أ . لجرى .

– قال : من لا يفرح لرخاء ، ولا يحزن لبلاء .

– قال : فصف لي صاحب الدنيا ؟

– قال : من هو في جميع أموره في حرب ومكابدة ، يكابد الشيطان في دينه ، والدنيا في حرفته ، والأخلاق لتستقيم ، والاهواء لتتدفع (1) ، والادواء لتندفع ، والجهالة لتُمتحن ، والآمال لتُنال ، والمكروه ليزول ، وبعض ذلك عن بعض شاغل ، والمشتغل عنه ضائع ، والمضيع مفسد ، والمفسد فاسد ، ولا سبيل إلى أحكام جميع ذلك كله ، والحكيم (2) من أضعاف من ذلك ما نبا لحفظ ما بقسي (3) .

– قال : فما الصلاح ؟

– قال : أن يكون التواضع للمرء أحب إليه من التماس الشرف ، وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر منها ، ويكون الزائد والتاقص في الحق سواء عنده (4) ، ويحكم للناس كما يحكم لنفسه .

– قال : فأبى الاشغال أحق بالتقديم ؟

– قال : شغل عظيم الآخرة على شغل صغير الدنيا .

– قال : فصف لي صاحب الأيتام ؟

(1) أ . لتتفلح .

(2) أ . الحكم .

(3) أ . بنا .

(4) أ . سوء عنده .

— قال : كان يقال : من اعتدل يوما / فهو مغبون ، ومن كان عنده شر يومه فهو محروم ، ومن لم يعرف الزيادة من نفسه فهو منقوص ، ومن كان في نقصان فالموت خير له .

— قال : فما الحزم في العمل ؟

— قال : الحرث للاخرة كأن الموت في غد ، والحرث في الدنيا كأن العيش للأبد .

— قال : فما أحقّ الأشياء بالتعجب ؟

— قال : من رجا (1) فلم يعمل ، وخاف فلم يكفّ .

— قال : فصف لي الدهر ؟

— قال : هو ثلاثة أيام : فأمس حكيم وهو مؤدّب (2)

ترى (3) فيه حكمته ، واليوم صديق مودّع كان عنك طويل الغيبة أتاك ولم تأته وهو سريع الطعن (4) عنك ، وغدا وهو عنك طويل الغيبة لا يأتيك ولا تأتیه (5) لا تدري أتكون من أهله أم لا .

(1) . فمن رجا .

(2) . ما دب .

(3) . ترك .

(4) . الطعن .

(5) . اليوم صديق مودّع كان عنك طويل الغيبة اتاك ولم تأتیه وهو عنك طويل الغيبة لا يأتيك ولا تأتیه وهو سريع الطعن عنك وغدا لا تدري أتكون من أهله أم لا . ولا شك في ان هذا التسلسل لا يستقيم حسب المعنى وانه نتيجة لاضافات سجلها الناسخ في الهامش تلافيا لعبارات نسيها . وقد سمحنا لانفسنا بتغيير هذا التسلسل حتى يصبح للفقرة معنى مستقيم .

- قال : فما الموجود ؟
- قال : المقدم للاخرة .
- قال : فما المغنوم ؟
- قال : ما بقي من الدنيا مما (1) عبر منها .
- قال : فمن أضل الناس ؟
- قال : من وكل إلى نفسه .
- قال : فما أحقّ شيء بارتضاء ؟
- قال : اختيار الله ، فان ما يرى (2) المرء مما يجب (3) فيما يكره أكثر مما يرى فيما يحب .
- قال : فما أفضل ما أعين به المرء على الدنيا ؟
- قال : الغنى .
- قال : فما أفضل ما أعين به المرء على الآخرة ؟
- قال : الفقر .
- قال : فأين مكان العبر ؟
- قال : عند كفر النعم .
- قال : فأين مجاري العبر ؟
- قال : في القبور تحت المدر .
- قال : فما الخير الذي لا شرّ معه ؟

(1) أ . ما بقا من الدنيا بما . . .

(2) أ . بر .

(3) أ . يحب .

- قال : الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة .
- قال : ففيم النجاة ؟
- قال : في ترك ما تحب اذا كرهه (1) الله عزّ وجلّ .
- قال : فما أربع من كن فيه أو واحدة منهن فهو من صالحى من هو منهم ؟
- قال : من كان له عقل يرشده ، أو دين يسدّده ، أو حسب يصونه ، أو حياء يقنناه .
- قال : فما أحلى شيء ؟
- قال : الطاعة .
- قال : فمن يصبر عليها ؟
- قال : من استعظم المعصية .
- قال : فما أمرٌ شيء ؟
- قال : الحقّ .
- قال : فمن يصبر عليه ؟
- قال : من عرف فضله .
- قال : فما أقوى ما استفزّ به الشيطان ؟
- قال : عزّة السلطان .
- قال : ففيم الكمال ؟
- قال : في ثلاثة : الفقه في الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن التدبير في المعيشة .

(I) كره .

[21 - 9] قال : فمتى يكون القلب / واعيا ما استُودع من المواعظ ؟
 قال : إذا صححنا من حب الدنيا ؛ فإذا علقه لم ينفعه
 وكان كالبدن إذا سقم لم ينجع فيه . طعام ولا شراب ولا نوم ولا
 راحة .

- قال : فما الزهد ؟
- قال : صرف النفس عن محبوب الشهوات .
- قال : فمن شر الأبناء ؟
- قال : من دعاه التقصير إلى العقوق .
- قال : فمن شرّ الآباء ؟
- قال : من دعاه البرّ إلى الإفراط .
- قال : فمن الذي لا يصلحه اختباره (1) لنفسه ؟
- قال : من لا يصلحه أدب ربه .
- قال : فمن الغريب ؟
- قال : من لا أخا له .
- قال : فمن المستوحش ؟
- قال : من لا جليس له .
- قال : فهل لنعمة كاره ؟
- قال : نعمة الفاجر .
- قال : بم يرجع به سائل الكريم ؟

(I) أ . اختياره .

- قال : الغبطة والسرور .
- قال : بسم يرجع به سائل اللّثيم ؟
- قال : الغضب والخسران .
- قال : بسم يسترعى الشريف ؟
- قال : تقوى الله .
- قال : فبسم (1) يسود المرء ؟
- قال : بأربع : العلم ، والأدب ، والفقه ، والأمانة .
- قال : فما شرّ الدنيا والآخرة وخيرهما ؟
- قال : ذلك في أربع : في الكفر ، والفقر ، والغنى ، والتقوى .
- قال : فأى شيء أحب إلى الناس من العطاء ؟
- قال : الكلمة الطيبة والوجه البسيط (2) .
- قال : فبسم (3) يكون الحمد والمجد ؟
- قال : لا حمد الا بفعال ، ولا مجد الا بمال .
- قال : فما خير الجلساء والاصحاب ؟
- قال : من يستفاد (4) منه الخير في الدين ، فمن لم يكن كذلك فلتنبذ صحبته .
- قال : فصف لي الايمان ؟

-
- (1) أ . ففيمما .
 (2) أ . البسط .
 (3) أ . ففيم .
 (4) أ . تستفاد .

— قال : ما [لا] دونه غنى ولا بعده فقر .

— قال : ففيم يتعزى العاقل ؟

— قال : فيما ينزل به من المكروه وذلك بأمرين : أحدهما السرور بما يناله (1) والآخر رجاء الفرج مما نزل به ؛ ويجزع الجاهل في مصيئته بأمرين (3) : أحدهما استكثاره والآخر ما هو أشد منه .

— قال : فما أدنى ما يستوجب معطي النعمة على نائلها منه ؟

— قال : ألا يتوصل بها إلى معصية .

— قال : فما الشيء الذي هو في بعض الناس أقبح منه في

بعض ؟

— قال : كان يقال : خمسة أشياء تقبح من خمسة : الحرص

[21 - ظ] من القراء والحدّة من الأمراء والبخل من ذوى الأموال / ، والفحش من ذوى الاحساب والشره من ذوى الامتنان .

— قال : فصف لي النعم والذنوب ؟

— قال : نعم الله أكثر من أن يؤدي شكرها الا ما أعان

عليه ، وذنوب ابن آدم أكثر من أن يسلم منها الا ما عفى عنه .

— قال : فمتى تكون الصنعة أحسن ؟

— قال : اذا كانت عند ذي حسب أو دين .

(1) أ . بناله .

(3) أ . فى أمرين .

— قال : بسم (1) يصيب الظن ؟
 — قال : ان لم يكتنفه العتل الراجح فهو في الخطأ سائح
 أو بارح .

- قال : فبم (2) يعرف الرجل ؟
 — قال : بما أكثر منه .
 — قال : فيم (3) تذهب هيئة الرجل ؟
 — قال : في كثرة ضحكه .
 — قال : فما يخرج به إلى (4) الاستخفاف به ؟
 — قال : كثرة مزاحه (5) .
 — قال : فما يكسر سقط منطقته ؟
 — قال : كثرة كلامه .
 — قال : وما في كثرة كلامه ؟
 — قال : قلّة حياثه .
 — قال : وما في قلّة (6) حياثه ؟
 — قال : موت قلبه .

-
- (1) أ. فما .
 (2) أ. فيما .
 (3) أ. فيما .
 (4) أ. الا .
 (5) أ. في كثرة مراحلته .
 (6) أ. فلة .

- قال : وما في موت قلبه ؟
 — قال : رقصة دينه .
 — قال : فأين موضع السلامة (1) ؟
 — قال : موضع السلامة في الصمت .
 — قال : فأين عاقبة الندامة ؟
 — قال : في كثرة الكلام وفي ذلك قال الشاعر :
- يموت الفتى من عشرة من لسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل
 فعثرته بالقول ترمي برأسه وعثرته بالرجل تبرأ على مهل (3)

- قال : فمن الجواد بالعطيّة ؟
 — قال : الموقن (4) بالخلف .
 — قال : كيف ينزل الصبر ؟
 — قال : على قدر المصيبة .
 — قال : كيف تنزل المعونة ؟
 — قال : على قدر المؤونة .
 — قال : بـم يصفو (1) ودّ الأخ ؟

(1) أ . فأين موضع الامانة بل السلامة .
 (3) البحر الطويل والبيتان لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، انظر العقد ، ج I ، ص 293 .
 (4) أ . المدفن .
 (1) أ . بما يصفى .

— قال : ثلاثة : يوسع له اذا جلس إليه ، ويدعوه بالسلام ،
ويدعوه بأحبّ أسمائه إليه .

— قال : فما أفضل أعمال البرّ ؟

— قال : انتظار الفرج .

— قال : كيف الدنيا بعدنا ؟

— قال : مثلها بعد غيرنا .

— قال : فأعجب النّمر ما سمعه من كلامه ، ورأى من
حسن عقله ، وجودة منطقته وألفاظه ، ونفوذ (1) رأيه ، وثبوت حجته ،
فأمر له بجائزة سنّية ، وأمره بالمقام في جواره (2) وبقرب
داره ، فكان يرتثيه في خطب إن فدح ، وأمر إن سنح ، ويعمل
برأيه ومشورته إلى أن هلك .

تم الكتاب والحمد لله ربّ العالمين .

(1) أ . نفوذ .

(2) أ . وأمره بالجوار بل المقام في جواره .

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن العجوي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

TABLE DES MATIERES

Système de transcription	7
Bibliographie	9
Introduction	13
— Le Kitāb an-Namir wa-t-Ta'lab	19
— La Manuscrit	31
Traduction française	37
Index des noms propres	97
Table des matières	99
Texte Arabe	173

رفع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

INDEX DES NOMS PROPRES

- Abān al-Lāhiqī, 20.
 ʿAbd-ul-Ḥamīd al-Kātib, 27.
 Abu-l-Aswad ad-Duʿalī, 166, 168.
 Abū-l-Qāsim, 27.
 al-Aʿšā, 43, 158, 168.
 ʿAskarī, 21.
 Baġdād, 14, 27.
 Barmakides, 14, 20, 24.
 Bašra, 13, 24.
 Bayt al-Ḥikma, 15, 19, 20, 21.
 Blachère, 28, 41, 48.
 Boileau, 29.
 Dastmaysān, 13.
 Ḥājirī, 17.
 Ḥurāsān, 25.
 Ḥuṣrī, 14, 15, 16.
 Ibn Abān (ʿĪsā), 16.
 Ibn ʿAbdūn, 14.
 Ibn al-ʿAmīd, 14.
 Ibn Badrūn, 14.
 Ibn al-Habbāriyya, 29.
 Ibn Masʿada, 14.
 Ibn al-Muqaffaʿ, 14, 16, 20, 21, 22,
 23, 24, 27, 28, 29, 164.
 Ibn al-Muʿtazz, 21.
 Ibn an-Nadīm, 16, 19.
 Ibn Nubāta, 13, 19, 20.
 Ibn Sahl (al-Faḍl), 15.
 Ibn Sahl (al-Ḥasan), 14.
 Ibn Šaraf, 19, 21.
 Ibn Šuhayd, 13, 19.
 Ibn Ṭalḥa, 67, 137.
 Ibn Zafar, 29.
 Ibn Zaydūn, 13.
 Jaʿfar (al-Barmakī), 14.
 Jāḥiẓ, 13, 14, 15, 16, 17, 19, 27, 28.
 Kramers, 13.
 Kurd ʿAlī, 13, 21.
 Kutubī, 13.
 Labīd, 63, 141.
 La Fontaine, 27.
 Maʿarri, 13.
 al-Mahdī, 25.
 al-Maʾmūn, 15, 20, 21.
 al-Maršafī, 138.
 Masʿūdī, 19, 19, 20.
 Maydānī, 154, 168, 162.
 al-Mutalammis, 168.
 an-Nābiġa aḍ-Ḍubyānī, 137.
 Pellat, 15, 17, 21, 24, 28.
 Qalqašandī, 15.
 Quṭāmī, 42, 169.
 ar-Rašīd (Hārūn), 14, 15, 20, 24.
 Šafadī, 13, 14, 15, 16, 91.
 Sahl b. Hārūn, 13, 14, 15, 16, 17, 19,
 20, 21, 22, 24, 25, 27, 28, 29,
 31, 32, 39, 173.
 Šiḥū, 138.
 Sourdel (D.), 14.
 Suḥaym b. Waṭīl, 159.
 Šurayh al-ʿAbsī, 137.
 Suyūṭī, 171.
 Tawḥīdī, 13, 41.
 Ṭufayl, 41, 170.
 ʿUmayya, 43, 168.
 ʿUmar b. ʿAbd-ul-ʿAziz, 40, 171.
 Yāġī, 13, 14.
 Yamānī, 14, 19, 21, 27.
 Yaḥyā (al-Barmakī), 14, 16, 20.
 Yāqūt, 13, 16, 20.

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

- Quelle est la meilleure des actions de piété ?
- L'attente de la délivrance.

- Comment sera ce monde après notre mort (1) ?
- Comme il est après celle des autres (2).

La panthère fut satisfaite, dit l'auteur, après avoir entendu les réponses [du renard] et constaté la valeur de son esprit, la qualité de ses propos et de ses paroles, la perspicacité de son jugement et la sûreté de ses arguments. Elle lui fit donner une récompense magnifique ; elle lui ordonna de rester dans la contrée (3) et [même] de s'installer dans le voisinage, près de sa maison. Elle le consultait pour toute affaire un peu grave et pour toute question qui surgissait. Elle tint compte de ses avis et de ses conseils jusqu'à la fin de sa vie.

Le livre est terminé. Louanges à Dieu Seigneur des mondes.

(1) Litt. : après nous.

(2) Litt. : après les autres.

(3) Litt. : dans le voisinage.

- Que révèle la profusion de ses paroles ?
- Qu'il n'a pas de pudeur.
- Que révèle l'absence de pudeur ?
- Que son cœur est insensible (1).
- L'insensibilité de son cœur ?
- Que sa foi est fragile.
- En quoi réside le salut ?
- Le salut réside dans le silence.
- Qu'est-ce qui provoque le remords ?
- Le fait de trop parler. A ce propos le poète a dit :

« L'homme mourra pour une erreur de langage,
Alors qu'il ne mourra pas pour un faux-pas.
L'erreur qu'il fait en parlant [peut faire] tomber sa tête ;
[Du] faux-pas qu'il fait en marchant, il guérit avec le temps. »

- Quel homme prodigue ses dons ?
- Celui qui est sûr d'y trouver une compensation.
- Comment [Dieu] donne-t-il la patience ?
- A la mesure du malheur.
- Comment [Dieu] accorde-t-il son aide ?
- A la mesure du fardeau.
- Qu'est-ce qui rend sincère l'affection pour un frère ?
- Trois choses : lui laisser la meilleure place quand on est assis à ses côtés, le saluer le premier, l'appeler du nom qu'il préfère.

(1) Litt. : La mort de son cœur.

— Quel est le moindre devoir qu'impose le bienfaiteur à celui qui profite de ses bienfaits ?

— De ne pas les utiliser pour [commettre] des péchés.

— Quels [défauts] sont plus détestables chez certaines personnes que chez d'autres.

— On a dit : cinq défauts (1) sont [particulièrement] détestables chez cinq [sortes de gens] : la cupidité chez les « lecteurs », l'emportement chez les princes, l'avarice chez les riches, l'obcénité [des propos] chez les gens de bonne famille et l'avidité chez les hommes [connus] pour leur générosité.

— Parle-moi des bienfaits et des péchés.

— Les bienfaits de Dieu sont trop nombreux pour qu'on puisse l'en remercier, sauf s'il nous y aide ; les péchés des hommes sont trop nombreux pour qu'on puisse y échapper, sauf si [Dieu] accorde son pardon.

— Quand les bienfaits sont-ils le mieux [placés] ?

— Lorsqu'ils s'adressent aux gens de mérite ou [aux hommes] pieux.

— Comment avoir un jugement juste ?

— Si [le jugement] n'est pas appuyé du poids de la raison, il erre et divague dans l'erreur.

— A quoi connaît-on l'homme ?

— A ses actions les plus fréquentes.

— Qu'est-ce qui détruit le respect pour un homme ?

— Un rire trop fréquent.

— Qu'est-ce qui l'expose à ne pas être pris au sérieux ?

— La fréquence de ses plaisanteries.

— Qu'est-ce qui multiplie l'erreur dans ses propos ?

— De trop parler.

(1) Litt. : cinq choses.

- Que ramène celui qui s'adresse à l'homme vil ?
- La colère et la déception.

- En quoi se signale l'homme noble ?
- Par la crainte de Dieu.

- Qui est-ce qui donne à l'homme la supériorité ?
- Quatre choses : la science, la culture, le savoir (1) et l'honnêteté.

- Quel est le pire, quel est le meilleur dans ce monde et dans l'autre ?
- Quatre [choses] : l'impiété et la pauvreté, la richesse et la piété.

- Qu'y a-t-il de préférable aux dons ?
- Une parole agréable et un visage affable.

- Qu'est ce qui procure gloire et éloges ?
- Pas d'éloges sans actes ; pas de gloire sans richesse.

- Quel est le meilleur confident (2) et compagnon ?
- Celui dont l'influence est heureuse sur ta piété ; de tous les autres, délaisse la compagnie.

- Parle-moi de la foi ?
- Tant qu'on ne l'a pas, il n'y a pas de richesse ; quand on l'a, pas de pauvreté.

- De quoi l'homme sensé [peut-il] se consoler ?
- Des malheurs qui frappent et cela de deux façons : la première en se réjouissant de ce qui l'atteint, la seconde en espérant s'en délivrer ; [quand] au sot, il s'émeut dans le malheur de deux façons : d'abord parce qu'il le juge insupportable (3) ; ensuite parce qu'il l'aggrave.

(1) Il ne nous semble pas que le mot « fiqh » désigne ici la connaissance du droit musulman

(2) Litt. : celui qui s'assoit à côté...

(3) Litt. : trop nombreux.

— Où réside la perfection ?

— Dans trois [choses] : connaître la religion, être constant dans l'adversité et bien réfléchir [pour conduire] sa vie.

— A quel moment le cœur s'ouvre-t-il aux leçons [édifiantes] qu'on lui dispense ?

— Lorsqu'il se libère de l'amour [qu'il porte] à ce monde ; tant qu'il y est attaché, [les leçons ne peuvent] lui être utiles ; il est comme le corps à qui ne profitent, tant qu'il est malade, ni nourriture, ni boisson, ni sommeil ni repos.

— Qu'est-ce que l'ascétisme ?

— C'est écarter son âme de la douceur des plaisirs (1).

— Quel est le pire des enfants ?

— Celui qui se comporte en fils indigne [parce que ses parents] manquent à leur devoir.

— Quel est le pire des pères ?

— Celui qui abuse de la pitié filiale de ses enfants.

— Quel est celui que ne peut amender l'examen de soi-même ?

— Celui que n'amende pas l'enseignement de Dieu.

— Qui est l'étranger ?

— Celui qui n'a pas de frère ?

— Qui se sent isolé ?

— Celui qui n'a pas de compagnon.

— Peut-on mépriser les faveurs ?

— [Oui], les faveurs du libertin.

— Que ramène celui qui s'adresse à l'homme généreux ?

— La gaieté et la joie.

(1) Litt. : des plaisirs qu'on aime.

- Quel est le meilleur secours que l'homme trouve pour ce monde ?
- La richesse.
- Quel est le meilleur secours pour l'autre monde ?
- La pauvreté.
- Où trouve-t-on des leçons édifiantes ?
- Dans l'ingratitude.
- Quel est le lieu [de prédilection] pour ces leçons ?
- Les tombes sous la terre.
- Quel est le bien qui est exempt de tout mal ?
- La gratitude dans la sécurité et la constance dans le malheur.
- Où est le salut ?
- Dans l'abandon de ce qu'on aime si Dieu le déteste.
- Quelles sont les quatre [qualités] dont l'existence groupées ou isolées chez un homme le font [considérer] comme l'un des meilleurs parmi les siens ?
- [Ce sont les qualités de l'homme] qui a une raison pour se diriger, la foi pour s'orienter [vers le bien], un honneur à défendre et une pudeur à protéger.
- Quelle est la chose la plus douce ?
- L'obéissance.
- Qui est constant dans l'obéissance ?
- Celui qui trouve monstrueux de désobéir.
- Quelle est la chose la plus amère ?
- La vérité.
- Qui peut [la supporter] avec constance ?
- Celui qui en connaît les mérites.
- Quelle est [l'arme] de Satan la plus efficace pour tenter l'homme ?
- La puissance du pouvoir.

— A quels travaux doit-on [accorder] la priorité ?

— A ceux qui visent l'important, l'au-delà, plutôt qu'à ceux qui ont [pour objet] les futilités d'ici-bas.

— Parle-moi de l'homme [devant] les jours [de sa vie] ?

— On a dit : qui est juste un jour est trompé ; qui traverse la pire journée de sa [vie] est [victime] des privations ; qui ne sait pas s'accroître par lui-même est un infirme ; pour qui est infirme, mieux vaut mourir (1).

— Qu'est ce que la détermination dans l'action ?

— C'est labourer pour l'au-delà comme si la mort était pour demain, et labourer pour ici-bas comme si la vie était éternelle.

— De quoi doit-on le plus s'étonner ?

— De celui qui espère sans rien faire et qui a peur [des suites de ses actions] sans les arrêter.

— Parle-moi du [cours] du temps ?

— Il y a trois sortes de jours : Hier : c'est un sage, un précepteur chez qui tu trouves la sagesse ; Aujourd'hui : c'est un ami qui te dit : adieu ; il a été longtemps loin de toi ; il est venu à toi sans que tu ailles à lui et il te quitte rapidement ; Demain : il est loin de toi depuis longtemps ; il ne vient pas à toi et tu ne vas pas à lui ; tu ne sais pas si tu seras des siens.

— Qui est-ce qui existe [vraiment] ?

— Ce qu'on fait pour l'au-delà.

— Qu'est-ce qui est acquis ?

— Ce qui reste des [événements] de ce monde lorsqu'ils sont passés ?

— Quel est l'homme le plus égaré ?

— L'homme abandonné à lui-même.

— De quoi doit-on être le plus satisfait ?

— Préférer Dieu [à tout] ; en effet, l'homme trouve plus d'enseignements dans ce qu'il déteste que dans ce qu'il aime.

(1) Nous devons reconnaître ici que nous ne voyons pas les rapports qui existent entre les deux dernières phrases et les deux premières.

preuve qu'il n'est pas une demeure éternelle. C'est un séjour trompeur auquel on ne peut se fier. Il humilie qui s'y abandonne, honore qui le méprise. Il jette dans le besoin celui à qui il retire ses faveurs et comble celui qui ne l'espérait pas. [Tour à tour] il sollicite les hommes et les hommes le sollicitent. Qui recherche l'autre monde, ce monde-ci le recherche jusqu'à ce qu'il l'ait privé de toute ressource ; qui recherche ce monde, la mort le recherche jusqu'à ce qu'elle l'en ait chassé. Séjour où tout se perd, étape passagère, les bienheureux s'en détournent, les malheureux le désirent. Ses richesses sont pauvreté, sa science, ignorance ; tout y est calamité et ses jours ne sont que changements. Ce qui finit par la mort mérite qu'on y renonce dès le début.

— Qui connaît ce bas-monde ?

— Celui que ne réjouit pas la prospérité et que n'afflige pas l'infortune.

— Parle-moi de l'homme aux prises avec ce monde.

— C'est un être qui, à propos de tout ne cesse de lutter et de ruser. Il ruse avec le diable [pour préserver] sa foi et avec la vie [pour réussir] dans son métier. [Il lutte] pour que les mœurs se redressent, que les passions soient domptées, que les maladies soient repoussées, que la sottise soit démasquée (1), que les espoirs se réalisent et que le mal disparaisse ; autant de soucis dont chacun le détourne des autres. Ce dont il n'a plus souci se perd ; le [responsable] de cette perte est un corrupteur ; et tout corrupteur est corrompu. [Pourtant], il est impossible de s'acquitter à la perfection de toutes ces [tâches]. Le sage est celui qui délaisse les [tâches] hors de sa portée pour conserver le reste.

— Qu'est-ce que la vertu ?

— C'est préférer la modestie à la recherche des honneurs et le strict minimum à l'abondance des [biens] terrestres ; [c'est] traiter comme des égaux les supérieurs et les inférieurs lorsqu'il [s'agit] de la vérité et juger les autres comme on se jugerait soi-même.

(1) Litt. : soit éprouvée.

- Qui recommence les bonnes actions en y ajoutant ?
- Celui qui en tire gain et profit.
- Quel est le plus [fidèle] serviteur de ce monde ?
- L'homme cupide dont l'espoir résiste à toute épreuve.
- Que doit-on le plus redouter pour les affaires humaines ?
- L'obstination dans le pêché.
- Où chercher les moyens de vivre ?
- Au près de celui qui les garantit.
- Où éviter de les chercher ?
- Au près de celui qui cherche comme toi, qui n'offre aucune garantie, qui ne tient pas les promesses qu'il te fait, ni ne respecte ses engagements envers toi.
- A qui faut-il le plus de prudence ?
- A celui qui a été comblé des faveurs de la fortune et qui persiste dans le pêché.
- Qui des hommes a subi le plus grand malheur ?
- Celui qui a perdu son âme et a été privé de raison.
- Quel est le plus grand plaisir ?
- Comblers ses amis de bienfaits.
- Qui mérite un pur éloge ?
- Celui qui est pur de tout vice.
- Qui a des vues bornées ?
- Celui qui préfère [les biens] périssables, mais présents, aux [biens] éternels, mais futurs.
- Décris-moi ce monde ?
- Ce monde engendre la mort, détruit ce qui a été édifié (1), reprend ce qui a été accordé. Tous ceux qui y [vivent] courent vers un [but] qu'ils ignorent ; tous ceux qui y sont installés sont mécontents de leur sort. C'est la

(1) Litt. : noué.

beau devant les gens qu'il honore, habit qu'il rendrait à son propriétaire dès qu'il les aurait quittés.

Le roi s'adressa alors au renard :

— Pour quel homme, ô renard, ce monde est-il petit ?

— Pour celui qui est conscient de sa dignité.

— Quel homme a le plus de valeur ?

— Celui qui ne s'inquiète pas de [savoir] qui profite [des avantages] de ce monde.

— Quelle est l'action la plus méritoire ?

— Eviter ce qui est illicite.

— Quel est l'homme le plus savant ?

— Celui dont la crainte de Dieu est la plus grande.

— Quel est l'homme le plus méchant ?

— Le savant corrompu.

— Qui n'a aucune science ?

— Celui qui n'a aucune conscience (1).

— Qui n'a aucune richesse ?

— Celui qui n'a aucune adresse.

— Qui mérite le plus la pitié ?

— Le savant soumis au jugement de l'ignorant.

— Qui éprouve le plus [le besoin] d'espérer ?

— Celui dont on désespère.

— Qui est dans la voie du bien ?

— Celui que se contente de peu et dont la foi est saine.

— Qui s'expose au mal ?

— Celui [qui exige] beaucoup pour être content et dont la foi est corrompue.

(1) Litt. : celui qui n'a aucune intention.

quant ruse et ingéniosité, l'homme intelligent a plus de ressources [que le sot], atteint plus facilement son but, et a beaucoup plus de chance de succès. Mais la hauteur de vues de l'homme sensé et sa générosité naturelle l'empêchent d'user de son intelligence pour les questions qui préoccupent le sot et lui [font] avouer sa perplexité. C'est là une attitude fréquente chez les méchants et la lie des femmes serviles. Je comprends tout, a dit un sage, excepté la femme sotte. Ne considère donc pas cela chez le sot comme une vertu qui lui donne un avantage sur celui qui est doué d'intelligence ; mais il en est comme je te l'ai dit.

— A quels indices peut-on reconnaître l'intelligence d'un homme avant de l'avoir mis à l'épreuve et d'avoir examiné sa conduite ?

— Ce sont les indices contraires de ceux que nous avons indiqués pour le sot. Cependant les indices favorables ne [permettent] pas de juger d'une intelligence cachée, comme les indices défavorables permettent de juger la sottise. En effet, des gens sans mérite peuvent simuler une conduite vertueuse, [tandis que] ceux dont le naturel n'est pas vicieux n'affecteront pas le vice. Dans les réunions et les assemblées où le hasard l'amène, le sot peut te paraître sensé, respectable, silencieux. Si on lui donne la parole, tu entends un discours plein de bon sens et qui [témoigne] d'une réflexion digne des philosophes (1). Mais dès qu'il quitte l'assemblée et qu'il est réduit à raisonner tout seul, tu vois réapparaître en lui l'absence de vigueur du caractère, la faiblesse de l'autorité, le défaut de jugement et l'incapacité [à choisir] le bien (2).

— Mais comment (3) lui est-il venu bon sens, dignité, [facilité] d'expression et éloquence ?

— Il peut avoir entendu les assemblées d'hommes de bien et [connu] les vertus des hommes pieux ; de la sorte, à ses moments de bon sens, il simule juste ce qu'il faut pour se parer de vertu et échapper à ses défauts instinctifs (4), comme un homme qui emprunterait un habit pour faire le

(1) Litt. : et avec lequel les philosophes partagent la réflexion.

(2) Litt. : un côté de bien amputé.

(3) Litt. : si ; mais le sens de la particule « 'in » ne peut convenir au contexte.

(4) Litt. : et quitter la mesure de sa nature.

sensibilité; la méfiance, prudence ; la précipitation détermination ; l'esprit de clan, fierté ; l'erreur, fatalité; l'abus de pouvoir, [marque] d'autorité ; la crédulité, confiance ; la servilité, humilité ; le bavardage, éloquence ; le mépris des conseils, [aptitude] à se suffire.

[En revanche] chez le sot, tous ces titres honorables cèdent la place à des noms infamants. Si celui-ci cherche la science, il cherche ce qu'il ignore ; s'il veut être généreux, il dilapide [ses biens] ; s'il veut être courageux, il court au suicide ; s'il veut être éloquent, il tombe dans le bavardage et indispose son interlocuteur ; s'il veut être sobre, il cesse d'acquérir [des ressources] et finit dans la mendicité ; s'il fait preuve (1) de civilité, l'ennui le saisit et il se lasse de ses amis, sans parler des autres ; s'il fait appel au doute, il se suspecte lui-même ; s'il demande conseil, il le fait même dans les cas où il n'en a pas besoin ; s'il se montre sociable, il devient [familier] avec tous ceux qu'il rencontre ; s'il affecte la patience, il s'expose aux malheurs ; s'il obtient l'obéissance [des autres], il ne se soumet plus [lui-même] à son Créateur ; s'il tient à se montrer reconnaissant il le fait sans raison ; s'il tend un piège à ses ennemis, il est le premier à s'y prendre (2), ; s'il use de prudence, il ne le fait pas seulement pour ce qui est à redouter : il est comme l'oiseau qui se nourrissait de poissons, mais qui, [un jour] s'accrocha un poisson dans le filet d'un pêcheur ; il s'agita jusqu'à ce qu'il se délivra ; depuis lors, il ne voyait pas de poisson sans croire que c'était un filet tendu si bien que, par prudence, il cessa de pêcher et finit par mourrir d'épuisement et de faiblesse. Si le sot montre sa joie, il rit à l'excès ; s'il veut user de résignation, il subit l'injustice et accepte l'iniquité ; s'il réfléchit, il fait plus de mal que de bien ; s'il veut éviter la précipitation, il s'abstient de faire ce qui lui tient à cœur ; et s'il demande conseil, il s'adresse aux méchants.

— Dis-moi comment le sot peut faire preuve de ruse et d'astuce, alors qu'il se signale par ses défauts ?

— Tu ne trouves ces [qualités] chez lui que pour des affaires futiles, insignifiantes et méprisables. [De toute façon], dans toute entreprise impli-

(1) Litt. : s'il se pare.

(2) Litt. : il l'accroche à son coup.

aller à plaisanter avec d'autres que ses intimes ; il se détourne du savoir, répond sans comprendre, se range à des opinions dont il ne saisit pas le sens véritable ; il évite les faqih, conteste [les paroles] des sages, s'obstine dans son entêtement et [traite] d'une façon injuste [ceux] qu'il fréquente. S'il est méchant par nature et qu'il soit vil par tempérament, il [se laisse] emporter par l'avidité et la cupidité à tous les excès ; ses désirs se multiplient ; il est avare de ce qu'il possède. Si un geste généreux lui échappe, il le gâte en le rappelant sans cesse et il en tire fierté aux dépens de son obligé. S'il est riche il devient arrogant ; s'il est pauvre il devient servile. Il se réjouit pour des riens et des bêtises ; il s'avilit par convoitise pour [des choses] méprisables. Il gaspille son intelligence [à satisfaire] son avarice, use de toute sa prudence pour conserver les richesses qu'il a acquises et sauver les biens qui lui échappent. Il est [alors] plus prompt et plus rapide que le stratège dont les plans les plus ingénieux, l'intelligence la plus subtile, la prudence la plus grande, les vues les plus lucides aboutissent [seulement à faire] répandre son sang et celui de ses hommes. A ces yeux, personne d'autre que lui ne mérite le bien-être. L'envie le porte à rabaisser ce que détiennent les autres tout en le convoitant et à exagérer ses propres biens tout en s'efforçant de les accroître.

— Il existe [cependant] des hommes doués de raison et possédant de nombreuses vertus, qui ne sont pas exempts des imperfections que tu attribues aux hommes imparfaits.

— Je t'ai déjà dit que nul ne peut être absolument parfait de façon à être à l'abri de tout défaut. Mais l'homme sensé, s'il est atteint de quelque imperfection, trouve dans sa raison un moyen de la cacher aux yeux des gens. S'il ne parvient pas à la voiler, il se conduit si habilement que le nom infamant cède la place à un titre honorable (1). Chez lui, la lâcheté s'appellera prudence ; l'avarice, sens de la valeur [de l'argent] ; la hargne (2), [aptitude à] se défendre ; la cupidité, [art d'accroître] son gain ; l'incapacité de parler, silence [volontaire] ; la cruauté, puissance ; la violence dans le châtement, correction salutaire ; la colère, [signe] de grandeur ; l'émotivité

(1) Litt. : à son contraire.

(2) Litt. : l'insulte.

ou d'oreilles (1) [pour voir et entendre] chez l'homme soucieux ; pas d'ami pour l'avare, pas de serment pour [l'esprit] facétieux, pas de repos pour l'envieux, pas de dénue ment pour [l'homme] sobre, pas de respect pour le libertin ; contre l'homme nul n'est en sécurité ; aucune créature ne prend plaisir à l'amertume ; personne n'est équitable contre soi-même, personne n'est satisfait de son temps ; nul n'est juste lorsque sa passion s'y oppose (2)

— Dépeins-moi l'homme sensé.

— Dans toutes ses entreprises, l'homme sensé est sur la bonne voie. La seule conduite qu'on lui connaisse c'est la [sincérité] dans les conseils aux gouverneurs, la vénération pour ses chefs, l'obéissance aux faqih, la fidélité à ses frères, la méfiance envers ses ennemis. [Il] ne porte jamais envie à ses amis, ne trompe pas les [hommes] vertueux, ne cherche pas protection auprès des méchants. Il ne dresse pas les gens [les uns contre les autres] ; il ne rebute pas ceux qui sollicitent [ses faveurs] ; il n'est pas orgueilleux quand il a le pouvoir, ni avare quand il est riche, ni servile lorsqu'il est pauvre ; il ne montre pas sa colère, ne cède pas à ses désirs ; il ne refuse(3) pas le destin, mais ne s'y abandonne pas [non plus]. Il n'entreprend rien qui dépasse ses forces, ne vise que ce qu'il peut obtenir, ne promet que ce dont il est capable ; il engage seulement les dépenses qui peuvent lui apporter un profit ; il ne réclame de récompense qu'en fonction de l'effort fourni ; Seuls le réjouissent les éloges dont il s'estime digne (4). [En effet], il sait qu'entreprendre une [tâche] au dessus de ses forces est sottise, que viser l'inaccessible, c'est s'imposer une peine inutile, que promettre ce dont on est incapable c'est [pure] vantardise, que faire des dépenses inutiles est stupide, que réclamer une récompense sans avoir fourni d'effort c'est manquer d'intelligence et qu'accéder à un rang qu'on ne mérite pas c'est courir à sa perte.

— Dépeins le sot ?

— C'est celui qui se contredit dans ses discours, s'émerveille [lui-même] de ses propos, rit très fort, émet des jugements à tort et à travers, se laisse

(1) Litt. : d'oreilles ou d'yeux.

(2) Litt. : lorsqu'il s'oppose à sa passion.

(3) Litt. : il ne nie pas...

(4) Litt. : il ne se rejouit de ce qu'on dit de lui que s'il s'en estime digne.

Cette emprise s'exerce sur tous les hommes. Seul y [échappe] l'homme auquel Dieu a accordé assez de raison et à qui il a montré le droit chemin. Celui-là a étalé le contenu de son carquois pour le vérifier ; il en a mordu une à une les flèches ; il a bandé son arc avec l'une d'elles, sans permettre aux caprices du désir de la détourner ni aux vaines espérances de l'arrêter ; il l'a lancée avec [l'élan] d'une intention qui refuse toute bassesse et d'une résolution que ne freine aucune hésitation. A peine lancée, la flèche a porté un coup mortel à ce bas-monde que cet homme a abandonné aux calamités et qu'il a laissé en butte au mépris. L'amour du monde n'a pas pénétré son cœur (1) pour qu'il le pleure ; son charme ne l'a point séduit pour qu'il en ait la nostalgie. Le monde est pour lui comme un cadavre ; il ne touche pas à ses vains plaisirs si ce n'est par force, sans désir et juste le nécessaire, en attendant le moment où il sera invité au festin de la nuit des temps (2) ; alors il répondra.

Quant aux autres, ils sont tous semblables [malgré] la diversité des natures. Le mystère qui entoure chacun l'empêche de connaître ses défauts et de comprendre quelle est sa valeur par rapport aux autres [...]. Si leur raison était saine, [le prestige] de ce monde serait ruiné. En les créant différents les uns des autres, Dieu — Puissant et Grand — a donné aux uns et aux autres des qualités inégales, mais il les a rendus égaux devant la mort. J'ai mis à nu le caractère des hommes et j'ai trouvé que l'amitié de l'ignorant n'est pas, dans le danger, un appui meilleur que l'hostilité du sage. J'ai constaté que l'habitude de la sottise et la méfiance à l'égard de la raison sont deux causes de vice. J'ai vu une supposition de l'homme sensé conduire plus [sûrement] à la vérité qu'une certitude du sot. J'ai vu le mensonge du sage faire moins de mal que le conseil [sincère] du sot. J'ai trouvé que l'homme sensé garde, mieux que le sot, les secrets qu'on lui confie.

Mais je n'ai pas trouvé de pudeur chez le menteur, de satisfaction chez [l'homme] avide, de loyauté chez l'insatiable, de pitié chez [l'être] vil, d'yeux

(1) Litt. : ne s'est pas collé à son cœur.

(2) Litt. : des siècles passés.

sa perplexité, son indécision et son irrésolution, tant et si bien qu'il tombe dans [le danger] qu'il veut éviter et qu'il est victime de ce qu'il redoute.

Le troisième ministre s'adressa à lui à son tour :

— Je pense que tu as fréquenté beaucoup de gens : parle-nous des mœurs que tu as observés chez les fils de ce monde que tu as connus et de ce qui, dans leur constitution, [les porte] à l'aimer ou à l'éviter.

— De chaque homme, j'ai éprouvé le comportement, connu la conduite et la manière d'agir et examiné les diverses tendances. J'ai constaté que chacun d'eux avait une nature (1) propre et que très rares sont ceux qui modifient la leur. Par ailleurs, les qualités secondaires (2) que comporte cette nature, ne peuvent s'effacer sans effort, sauf si elles sont artificielles [.....].

Les hommes se fient beaucoup plus à leurs yeux qu'à leur raison (3). Si on présentait à leur regard ce qu'ils cachent au fond de leur cœur et qu'on les incitât à le [réaliser] bien qu'il y ait d'immenses périls à cela ceux qui se lanceraient dans ces périls, tout en les connaissant [parfaitement] seraient beaucoup plus nombreux que ceux qui les éviteraient. Les regards sont attirés par l'élégance de la démarche, l'harmonie des formes, l'éclat de la beauté et les fleurs des jardins. Il n'y a donc pas à s'étonner si quelqu'un, séduit par de telles apparences et ignorant ce qu'elles cachent, portent vers elles ses désirs. Mais quel étonnement lorsque celui qui en a connu les secrets si bien qu'il sait qu'y goûter (4), c'est [boire] un poison mortel, désavoue cette science et se fie [seulement] à ses yeux ; [quel étonnement] lorsqu'un homme [laisse] ses regards ainsi voilés se porter et l'entraîner vers tout [nuage] annonciateur de pluie : dans son désir il en reçoit déjà la pluie abondante lorsqu'il approche et il en attend encore quelques gouttes lorsqu'il s'est dissipé. Sa vue a seulement accru sa soif ; sa soif a seulement accru son trouble. Il fait passer la [sensation] présente avant [la réalité] absente [.....].

(1) Litt. : essence.

(2) Litt. : accident.

(3) Litt. : cœur.

(4) Litt. : puiser à

aux faveurs seulement le temps qu'il en savoure la douceur (1) ; dès que cette douceur a franchi sa gorge, il l'oublie. Si le souvenir en passe par son esprit, il rapetisse les plus importants d'entre eux et en réduit le nombre. Il estime qu'il en a bénéficié de plein droit. De la sorte on perd la bienveillance [de tous] ; on déprécie les bienfaits et on s'aliène les faveurs.

Puis il y a la richesse et la puissance. Elles se marquent chez le sage par la modestie et la simplicité, chez le sot par l'orgueil et la fatuité.

Il y a ensuite la piété. Le sage s'en fait une parure parce qu'il y trouve la satisfaction, si bien qu'il voit son attrait augmenter sans cesse. Pour le sot, elle est une parure qu'il revêt par hypocrisie pour avoir bonne réputation ou comme artifice pour parvenir à certaines fins [...]. Cette conduite, même si elle dure, finit par céder (2) si bien qu'arrive un jour où toute illusion à son sujet cesse.

Puis il y a [l'aptitude] à faire amende honorable. Elle consiste, chez l'homme avisé à reconnaître sa faute et à demander pardon, chez le faible d'esprit à nier sa faute et à justifier ses erreurs. Celui-là fait amende honorable pour être pardonné et se repend par souci du bien ; celui-ci ne fait que s'entêter et persévère dans le mal.

Puis il y a la façon de dire oui. Le [oui de l'homme] sensé est un monument solide que les doutes ne [peuvent] démolir, un bois dur que ne peuvent enflammer les propos des calomnieurs et un voile épais que les envieux ne peuvent déchirer. Le [oui du sot] est comme l'ombre des nuages ou comme une plume dans le désert, que les vents poussent dans toutes les directions.

Puis il y a [la façon de] prendre conseil. L'homme sensé consulte les autres pour confronter leurs avis avec le sien et comparer les diverses opinions entre elles de façon à choisir [la décision] la plus judicieuse et qui soit le meilleur chemin vers la vérité. Quant au sot, il consulte [autrui], en hésitant sur le parti à prendre. Les avis qu'il écoute ne font qu'augmenter

(1) Litt. : le temps qu'il en trouve la douceur sur sa langue.

(2) Litt. : recule en arrière sur ses talons.

qui se lance dans la guerre dépense sa vie pour quelque chose qui ne la vaut pas : les biens de ce monde. C'est, de toute évidence, courir à la ruine et on ne mérite alors que le mépris. Dans le deuxième cas, lorsqu'on cherche la vie future, dépenser sa vie est payé d'un prix supérieur à la dépense, puisque le prix [reçu] est éternel, tandis que la [vie] dépensée est périssable : voilà la bravoure. Le troisième cas est celui de l'emportement dans la colère. Or la colère relève de la sottise et [l'homme] en colère ne mérite que le nom de sot, sauf [s'il s'emporte] pour réparer une injustice.

Puis il y a la vivacité du langage et la richesse du discours. Le critère en est la concision de l'expression et la justesse des idées : voilà l'éloquence. [Mais] si on n'atteint pas [ces qualités] on s'appellera un bavard.

Puis il y a le mutisme. S'il est méditation, c'est le silence du sage ; sinon, c'est l'hébétéude du sot.

Puis il y a la modération [dans les désirs]. Si elle consiste à se satisfaire d'un juste salaire et à refuser des gains illicites, elle [relève] de la sobriété ; sinon elle [relève] de la bêtise et cet abaissement naît du manque d'ingéniosité.

Puis il y a la délibération et la réflexion. Si elles [mettent] en garde contre les risques et [permettent] de prévoir les conséquences [d'une action], elles sont prudence et circonspection ; sinon elles sont perplexité et embarras.

Il en est de même pour l'exécution des décisions. Si [on agit] en connaissance de cause de façon à éviter les faux-pas, et après mûre réflexion, [on fait preuve] d'esprit de décision et de fermeté ; sinon, c'est la précipitation de [l'homme dans] l'erreur ; et [dans la précipitation] qu'on échoue ou qu'on réussisse, on ne mérite pas d'être loué.

Puis il y a la gratitude pour les bienfaits. Dans le cœur de [l'homme] noble, les bienfaits sont une semence qu'il nourrit de ses remerciements, qu'il entretient par le souvenir des effets qu'ils ont eus sur son esprit. Sans cesse, il considère comme grands les plus petits [d'entre eux] et il en grossit l'importance jusqu'au moment où il rend le dernier soupir. Ainsi on se gagne la bienveillance et on mérite une juste récompense. L'homme vil est sensible

La première de ces [vertus] est la science. On en atteint le somme lorsqu'on met en application [les connaissances] acquises. Ainsi mérite-t-on le nom de [savant]. [.] (1), même s'il a acquis un savoir étendu. Il mérite plutôt le titre de malheureux parce qu'il a fourni de longs efforts et s'est donné beaucoup de peine à exercer son esprit inutilement. Tel est le cas de celui qui a pratiqué la science en laissant de côté le but qui lui est assigné. C'est le premier degré ; vient ensuite le titre d'égaré, puisque l'égarément est une branche de l'ignorance.

Puis il y a la longanimité. Le critère est d'en user pour protéger son honneur contre les [offenses des] gens vils et obscurs ou bien de s'abstenir de châtier des égaux pour leur crime par magnanimité à leur égard et parce qu'on a l'âme trop grande pour leur rendre le mal qu'il ont fait. Ainsi on mérite le titre de longanime. Si l'on s'écarte de ces deux critères, c'est plutôt le nom de faible qui convient. Or le faible est vil et méprisable.

Puis il y a la générosité. Elle consiste à octroyer le sur plus des richesses, judicieusement, après avoir pourvu à ses propres besoins. Ainsi on mérite le titre de généreux. Mais si on accorde ses [dons] en dehors de ces critères, on est niais ; si on les accorde inconsidérément, on est prodigue ; si on se [montre] généreux [en se dépouillant] de ce dont on a besoin, on est un dilapidateur. Le dilapidateur est haïssable et misérable ; le misérable n'a point d'honneur ; l'homme sans honneur manque de pudeur ; l'homme sans pudeur manque de piété ; et mieux vaut mourir que d'être impie.

Puis il y a la bravoure dans le danger. Tu ne la trouveras pas en dehors d'un des trois cas [suivants] : on rivalise avec autrui pour les biens d'ici bas, on cherche à gagner sa part [de récompense] dans l'au-delà, ou bien on est emporté par la colère. Dans le premier cas, tandis que seul le commerçant ignorant cède sa marchandise à un prix inférieur à sa valeur, tout homme

(1) Il y a ici manifestement une lacune dont le sens serait à peu près : « s'il n'applique pas ses connaissances, il ne mérite pas ce nom, même si ». Nous avons par ailleurs signalé par des points mis entre crochets, les phrases ou les passages que nous n'avons pu établir d'une manière satisfaisante et qui sont signalés dans le texte arabe par des parenthèses.

Il en va de même pour tout [homme] qui présente quelque vertu ou quelque vice dont il ne peut absolument pas se débarrasser pour [choisir] son contraire : on ne peut ni le louer ni le blâmer.

Alors le deuxième ministre s'adressa à lui en ces termes :

— Nous avons entendu la description que tu as faite des vertus et des qualités de bienséance propres aux hommes sensés. Cependant, nous constatons que nombre de vertus appartiennent aussi à certains sots, si bien que les [extrêmes] opposés ont en commun le nom de la même vertu. Ainsi, on attribue au sot comme à l'homme sensé la générosité quand il donne largement, la longanimité lorsqu'il supporte les offenses et endure les persécutions, le courage lorsqu'il s'expose dans les dangers, l'éloquence lorsqu'il parle facilement et s'exprime avec clarté, la sobriété lorsqu'il se contente de peu, la réserve (1) lorsqu'il garde le silence, la pondération lorsqu'il délibère et réfléchit, la bonté lorsqu'il comble [les autres] de bienfaits. Au regard de semblables vertus, comment distinguer l'homme sensé du sot ?

— Ce que tu dis est vrai ; mais l'homme sensé et le sot n'ont en commun, de ces vertus, que le nom par lequel les gens du peuple les désignent. Quand au sens [impliqué par ce nom], il n'est pas le même dans les deux cas et aucune confusion n'est possible pour un être raisonnable. En effet, pour toute vertu — celles que tu as citées et les autres — il y a une limite que seul l'homme sensé ne dépasse pas et dont seul l'homme imparfait s'écarte. Quiconque se pénètre de cela, n'applique le nom d'une vertu qu'à celui qui en respecte la limite et évite le défaut de s'en écarter. Si quelqu'un s'en écartere, on doit lui donner un nom qui marque cet écart. Ce qui trompe les gens du peuple lorsqu'ils parlent de ces sujets, c'est qu'ils ignorent les degrés exacts que comporte l'échelle de ces vertus. Ainsi sous le même nom, on réunit des gens différents les uns des autres. [Celui qui] entend parler de ces vertus juge d'après une [expression] erronée ; sa conviction a un fondement incertain (2) et son opinion ne peut être exacte.

(1) Litt. : le silence.

(2) Litt. : sa conviction [a un] fondement dangereux.

— A ton avis, si quelqu'un a fait un choix heureux et a ainsi laissé paraître quelque trait de vertu, cela [suffit-il] à le bien juger et [faut-il] lui attribuer le mérite de ces actes ?

— Non, tant qu'on ne sait pas qu'il a choisi [sciemment] ce comportement vertueux, en écartant son contraire. Seul en effet peut être loué celui qui, entre deux partis, choisit le meilleur et le plus noble. Celui dont le caractère a été forgé sur un modèle [particulier] ne mérite aucun éloge, même si le modèle est bon. Ne vois-tu pas qu'on ne peut louer le soleil pour sa lumière, ni la lune pour sa clarté, puisque [lumière et clarté en sont deux éléments] constitutifs et qu'ils sont inhérents à ces deux astres qui ne peuvent rien produire d'autre.

— L'homme clément qui n'a pas goûté l'amertume de l'humiliation, qui n'a pas savouré la douceur de la victoire, qui n'a pas avalé sa colère sous l'oppression, celui-là [en fait] n'est pas clément. L'homme généreux qui ne connaît pas la valeur de l'argent parce qu'il n'a pas à craindre la pauvreté et qui ne tient pas à la puissance de la richesse parce qu'il n'a pas à redouter l'humiliation de la misère, celui-là n'est pas généreux. [L'homme] courageux qui ne connaît pas la souffrance des blessures ni la valeur de la vie [et ne sait pas] de quel plaisir il peut être privé, celui-là n'est pas courageux. [L'homme] patient parce qu'il n'a pas d'autre ressources que la patience et qu'il n'a aucun moyen de s'emporter, celui-là n'est pas patient. [L'homme] qui accorde des bien faits par intérêt ou par crainte et non spontanément afin d'obtenir la gloire et la récompense [divine], celui-là n'est pas bien faisant. [L'homme] sobre parce qu'il ne peut faire autrement et qu'il n'a pas de recours contre le dénuement, celui-là n'est pas sobre.

un bouclier dans le feu de la discussion ; elle occupe le sommet de toute hiérarchie. A cause d'elle, l'esprit de [l'homme] sensé est dans la joie, celui de l'ignorant est dans l'embarras. Son pouvoir a [toujours] la victoire, son adversaire [connaît] la défaite. Qui la recherche [voit] croître de jour en jour son ardeur et sa joie, à proportion de ce qu'il en acquiert. C'est le trésor de ce monde et de l'autre.

— Comment décrire la raison et la science réunies ?

— Si elles sont réunies en quelqu'un, celui-ci a en apanage le discernement pour protéger son honneur ; la prudence est son bouclier pour se défendre des dangers ; [l'esprit de] décision est son épée pour trancher la perplexité [qui engendre] le doute ; le jugement est une flèche dont il atteint ce qui est caché à sa vue ; le bien est une règle qui [lui permet] d'écarter la tentation de la prodigalité ; la fermeté est un frein pour maîtriser sa passion (1) ; la sincérité est le langage (2) qui [lui donne] la victoire sur ses adversaires ; le silence est une parure qui éloigne l'erreur de ses paroles ; l'espoir est une monture qui le mène à la réussite de ses entreprises ; la constance (3) [dans le malheur] est la qualité propre qui préserve son corps [de toute atteinte] ; la patience est une forteresse qui le met à l'abri du remords [qu'engendre] la précipitation ; la sobriété est pour lui une monture (4) [sous les pieds de laquelle] il écrase son avidité ; la pudeur est un voile qui le protège de l'impudence détestable ; la gratitude est un moyen d'obtenir [les faveurs] des gens dont il connaît la fortune ; l'honnêteté est un maître qui le défend contre les soupçons ; la chasteté est un prince qui lui garantit honneur et considération ; l'équité est une vertu qui l'empêche de nuire par de vaines promesses ; la modération [dans les désirs] est pour lui une voie qui l'entraîne vers la tranquillité et qui le libère du joug de la colère ; la réflexion est un regard qui [lui permet] de chercher la meilleure conduite, d'examiner les conséquences de tout et de juger de ce qui sera d'après ce qui a été.

(1) Litt. : un mors pour diriger la monture de sa passion.

(2) Litt. : est sa langue.

(3) Litt. : l'aptitude de se consoler.

(4) Litt. : son onagre.

— Oui, elle a le plus grand besoin de la science. En effet l'homme peut posséder naturellement la raison sans avoir la science. Mais il est alors comme l'arc qui n'a aucune utilité s'il est dépourvu de sa corde, et qui, uni à elle, peut remplir sa mission.

— Décris-moi [la raison et la science] chacune en particulier.

— La raison est la source de tout [acte] louable et un rempart contre tout ce qui est indésirable ; [elle assure] la vie de l'âme et le repos du corps ; son règne [conduit] à la joie et son avènement à la sécurité ; elle ramène à l'unité les [différents] partis et rappelle [à la vie] ce qui est en voie de perdition ; c'est le havre de la miséricorde et la clé de la voie droite ; elle fait régner l'amitié entre les justes et libère la certitude du doute ; elle sème le bien, engendre l'intelligence et écarte la passion des terrains périlleux ; sa lumière ne s'éteint pas et ne saurait décevoir (1) ; elle procure la sécurité (2) et protège contre les conséquences nuisibles. Elle fonde nos actes et assure le succès ; C'est la clé de [tous] les biens et l'origine de [tous les actes] vertueux ; sur elle s'appuie le malheureux ; elle remplace ce qui [nous] manque.

Quand à la science, c'est le critère de la religion, la marque [distinctive] des [hommes] pieux, la parure des [gens] sensés, la balance de la justice ; c'est la sagesse [qui conduit sur] le droit chemin, le discours (3) des gens intelligents, le réconfort des affigés, la délectation du sage. C'est un jardin où s'élève l'intelligence, une retraite contre le poids des soucis, un collier précieux ; c'est un compagnon dans l'exil, un ami dans la solitude ; elle [offre à l'homme] un havre familial et [constitue pour lui] une charge légère. La pauvreté n'atteint pas qui la possède ; la fortune ne [saurait servir] d'ornement à qui en est dépourvu. Qui [entretient] un commerce avec la science est [toujours] gagnant ; qui demande en son nom est assuré du succès. Si on l'ignore, elle ne perd rien de son prix ; si on en use, elle [ne subit] aucune perte. Elle préserve les sens du péché et protège l'honneur contre toute atteinte ; les oreilles ne se lassent pas [de l'entendre]. Elle est

(1) Litt. : Son briquet n'a pas de raté.

(2) Litt. : elle te fait cueillir le fruit de la sécurité.

(3) Litt. : la langue.

— [Pourquoi cela ?]

— Parce que la langue est un messager et que le cœur est celui qui l'envoie. Or le messager ne peut remplacer celui qui l'envoie.

— Dis-moi si la part de raison dont chaque homme est pourvue est une [aptitude] accidentelle acquise par l'éducation ou bien si c'est un don naturel qui est inhérent à l'essence de chacun.

— C'est plutôt une création [divine] dans la nature de chacun.

— Comment alors y a-t-il lieu de faire des reproches à l'ignorant ?

— Si l'ignorance existait isolée de toute raison, les reproches tomberaient [d'eux-mêmes]. Mais tout homme possède une part de raison et il mérite des reproches dans la mesure où il laisse perdre cette part. Si on exige de lui plus que ne peut sa raison, on commet une injustice à son égard. C'est un excès de la part des gens que d'adresser à des hommes diminués un blâme qui dépasse ce qu'ils méritent. Si on commet l'erreur de faire un reproche dans ce cas, c'est faute de connaître exactement les possibilités de la raison de celui qu'on blâme, si bien qu'on exige de lui plus qu'il ne peut. Ne vois-tu pas les juges, lorsqu'une faute est commise, en examiner les mobiles et distinguer entre la [faute due à] l'ignorance et les autres. En cas de préméditation, c'est-à-dire si le délit est commis en connaissance de cause le châtement s'impose ; [mais si la faute est commise] par erreur — c'est-à-dire par ignorance — il n'y a pas lieu de châtier, puisqu'il n'y a pas préméditation du délinquant. En même temps, les reproches perdent tout objet.

— Celui qui commet une faute sans le savoir peut-il être déchargé du grief de cette ignorance ?

— [En effet], parce qu'on ne doit punir que celui qui néglige d'user de sa raison. Il en va de même pour les reproches vis-à-vis de ceux qui [paraissent] y donner lieu.

— Y a-t-il une chose dont la raison a besoin et dont la présence rendrait la raison meilleure qu'elle n'est en son absence ?

métier, bien que dans leur métier ils soient extrêmement différents ; on dit : maçons, menuisiers, commerçants, tailleurs, et chacun est, par rapport à ses compagnons, plus ou moins habile dans son art.

— Les hommes sont égaux dans la mesure où ils manquent de raison ; [par contre], pour ce qu'ils en possèdent, ils ont des mérites divers : le plus intelligent est celui qui est le mieux pourvu.

— Pourquoi les sommets [de la raison] sont-ils inaccessibles, si bien que les hommes sensés ne peuvent les atteindre.

— Parce que ces sommets [représentent] la perfection et que celle-ci est un attribut qui ne convient qu'au Créateur. La créature ne peut prétendre aux attributs de Dieu (1). Il est bien trop haut pour cela.

— La connaissance peut-elle saisir l'étendue [exacte] de la raison humaine sans, dans sa description, en dépasser les limites ni en rien retrancher ?

— Ce serait la certitude dans la connaissance. Or l'homme peut atteindre cette certitude dans certains domaines et ne [jamais] y parvenir dans d'autres. Entre ces [deux points extrêmes], il y a de nombreux degrés. Seul le Créateur peut dresser le compte de ce que l'homme connaît ou ne connaît pas avec certitude. Toutefois, lorsqu'on prend comme critère l'esprit (2) et le jugement des gens intelligents pour mesurer l'étendue de son [propre] jugement et la rectitude de son intelligence, on est presque toujours à même d'apprécier les différences. L'esprit dont le rôle est de comprendre l'emporte sur la langue dont la fonction est d'exprimer, même si cet interprète de l'esprit a un rôle plus important. Ne vois-tu pas que celui qui parle, malgré ses efforts pour exposer [sa pensée], ne parvient pas à la communiquer dans son intégrité ? Cela n'est pas dû à une incapacité de la langue qui lui soit imputable ; mais la cause de cette infirmité vient du fait que la compréhension part de l'expression.

(1) Litt. : Le Créateur et la créature ne peuvent être égaux dans son attribut.

(2) Litt. : Les cœurs.

Le premier ministre se tourna alors vers le renard et lui dit :

— Parle-moi de l'homme, de sa condition, de ses défauts et de ses perfections.

— L'homme, répondit le renard, c'est la raison. Si on en est pourvu, on mérite le nom d'homme ; si on en est privé, on est un être diminué. Le nom [d'homme] ne désigne alors qu'une apparence. Si on détient une part de raison et qu'on manque du reste, on est un homme imparfait.

— Dis-moi si la raison est de nature telle qu'en obtenir une parcelle c'est la posséder toute, autrement dit, si les hommes en sont également pourvus ou bien s'ils le sont à des degrés divers.

— C'est plutôt à des degrés divers.

— Pourquoi donc accorde-t-on à celui dont le lot est infime le même nom qu'à celui qui a reçu une part de raison importante ? On les nomme, tous deux, raisonnables, alors qu'au regard de la raison, ils sont bien différents. Le même qualificatif peut-il s'appliquer à [des gens] d'un niveau inégal ?

— C'est vrai, et ce n'est pas une erreur de parler ainsi. En effet, cette inégalité de niveau se réfère à la même aptitude (1). La langue est trop limitée pour qu'on puisse donner à chaque degré de la même aptitude un nom [qui le distingue] des autres degrés. Si l'on avait de telles exigences, la langue deviendrait trop étendue à cause de la multitude des nuances qui réclameraient un nom [particulier]. En fait, elle a réuni toutes les nuances sous un même nom et désigne de la même façon [des gens] divers.

— Comment distinguer, [pour une même qualité, l'être] inférieur et [l'être] supérieur, quand un nom unique les réunit ?

— Par la clairvoyance et les lumières de la connaissance. De même, dans le langage, on appelle d'un nom unique les artisans d'un [même]

(1) Litt. : la même espèce.

mort. On peut toujours lui accorder la faveur de l'écouter. Par égard pour le fait qu'il demande pardon, accordez-lui un sursis. Lorsque [le corps] s'écroule immobile, cesse de frapper (1), dit le proverbe.

— Une hostilité secrète, répliqua le premier ministre, peut prendre l'apparence de l'amitié ; elle est alors plus redoutable que l'hostilité déclarée. L'homme sensé honore ses engagements vis-à-vis de celui avec qui il se réconcilie ; mais il ne peut être sûr que son ennemi lui rende la pareille. Mais rien ne vaut mieux pour lui que de s'en éloigner et de s'en méfier le plus possible.

L'homme qui vous est, fondamentalement, hostile et qui, pour préserver ses intérêts, vous montre de l'amitié, revient à sa pente naturelle dès que ses mobiles intéressés disparaissent. [Il est] comme l'eau qui chauffe sur le feu, mais refroidit dès qu'on l'enlève. Le faible, disait-on, a beaucoup de chances d'échapper au fort s'il s'en méfie, et il n'est pas exposé [aux malheurs] qui menacent ce dernier lorsqu'il se fie au faible et s'abandonne à lui. A mon avis, ne pas recourir au châtement est [signe] seulement d'impuissance et de faiblesse.

— Si l'homme puissant dit le deuxième ministre est celui qui est capable de faire le mal, l'impuissant est celui qui n'a [même] pas la force de vouloir le repousser. Aucun édifice n'est plus imposant, plus solide, plus haut que d'accomplir les actes généreux qui nous méritent les louanges. La considération [que l'homme s'acquiert] par les belles actions reste dans les cœurs et s'éternise dans la mémoire des siècles (2). Celui qui s'arme de générosité, qui traite [les autres] avec charité, qui emprunte à la vertu sa parure (3), celui-là satisfait [pleinement] ses aspirations et obtient la récompense divine.

— J'ai décidé, dit la panthère, de lui accorder le pardon. Faites-lui subir, sur le champ, un examen et appréciez son intelligence d'après la justesse de ses arguments et la clarté de son discours. L'intelligence naît de l'harmonie des diverses humeurs qui composent chaque espèce. Si vous le jugez digne de notre compagnie, gardez-le dans nos murs (4) ; sinon renvoyez-le. Interrogez-le dans un endroit où je puisse l'entendre.

(1) Litt. : lève la main.

(2) Litt. : dans les siècles passés.

(3) Litt. : son voile et son manteau.

(4) Litt. : devant nos portes.

— En effet, mais t'accorder un sursis, c'est perdre l'occasion de te châtier. Les sages ont dit [. . . .].

S'adressant alors à ses ministres, il leur dit :

— Qu'en dites-vous ?

— C'est un ennemi, répondit l'un d'eux ; depuis longtemps, il a l'esprit plein d'hostilité contre vous ; il a nourri cette haine dans son cœur (1) et il l'a couvée dans son sein. Comment vous reposer sur ses conseils, [quand] il s'est efforcé de détruire ce que vous avez édifié et de défaire ce que vous avez réalisé. La seule chose qu'il cherche ainsi c'est une ruse pour échapper au châtement. La souffrance des blessures que vous lui avez faites, l'humiliation d'être votre prisonnier sont si fortes que son cœur ne peut être bien disposé pour vous et que vous ne serez jamais à l'abri de sa trahison. Mon avis est de le tuer et de s'en débarrasser pour [assurer] votre tranquillité. L'homme sensé, disent les sages, n'est jamais clément envers ceux qu'il redoute.

— Je ne pense pas qu'il faille le tuer, dit le deuxième ministre : il n'a pas d'arme pour [qu'on doive] se défendre de ses intrigues, ni de puissance qui le rende redoutable. Il est complètement isolé dans cette île où il n'a pas de tribu. Vous voyez sa faiblesse et constatez son humilité. Si vous tuez un renard parce que vous en avez peur et que vous le redoutez, ce sera [signe] de votre faiblesse et de la mesquinerie de votre ambition. Laissez-le bénéficier de votre clémence : votre récompense en sera plus grande ; écartez-le de votre vue : votre [âme] sera plus sereine.

Le troisième ministre dit :

— L'hostilité de l'ennemi n'empêche pas l'homme sensé de s'en approcher pour connaître ce qu'il a, lorsqu'il désire repousser un danger ou acquérir un avantage. J'ai comparé le profit qu'on peut tirer du renard en lui accordant [le pardon] et la satisfaction qu'apporterait son supplice (2) et j'ai constaté que ses forfaits ne méritent pas qu'on se venge de lui par la

(1) Litt. : il a plié ses bagages sur cette haine.

(2) Litt. : son châtement par son rang.

passer au fil de l'épée et de dévorer leur chair. Quand le tour du renard arriva il s'écria le plus fort qu'il put :

— J'ai un conseil [à donner] au roi

La panthère cita ce vers composé au sujet de Muḥammad ibn Talḥa :

Il me rappelle [lasourate] Ḥāmim alors que les lances sont en action ;

Que n'a-t-il récité Ḥāmim avant de marcher [au combat].

Puis il fit venir le [renard] et lui dit :

— O scélérat : quel est donc ton conseil ? Pendant longtemps, tu nous as trompé ; tu t'es appliqué à [provoquer] des révoltes dans lesquelles tu t'es complu avec insolence : [tout cela] pour nous faire périr.

— O Roi ! dit le renard, sois donc généreux [toi qui] détient le pouvoir. Si tu désires avoir un royaume étendu, et une conversation encore plus variée, garde-moi en vie.

— Certes, j'aime tout cela ; mais [quelle] garantie, peux-tu donner pour ce que [tu dis] ?

— Les secrets les plus précieux sont [au fond] des coeurs vertueux. La plus utile des richesses c'est de se faire des obligés. J'ai cinq biens à t'offrir, dont chacun vaut mieux qu'une fortune.

— Lesquels ?

— Des conseils dont on ne saurait se repentir, une loyauté que n'atteindra jamais la trahison, une docilité que ne corrompra jamais [l'esprit de] désobéissance, des services qui ne connaîtront pas la lassitude, un jugement qu'on ne trouvera jamais en défaut.

— Ce sont là de [simples] promesses : on peut ne pas tenir sa parole. Qui croit sans savoir, [se laisse] abuser.

— [Il suffit] de mettre à l'épreuve pour se faire une opinion et d'examiner [les faits] pour tirer une conclusion.

peux trouver un tunnel pour te cacher sous terre ou une échelle, pour grimper au ciel, fais-le. En effet, tu n'es pas l'égal [de roi] et tu n'as pas la force pour lui résister (1). Tu es à la merci d'un [coup] de griffe : s'il te combat tu ne pourras te relever de tes blessures, ni rétablir ta situation. Ecarte-toi de son chemin et disparais de sa vue. Si tu m'écoutes, le roi ne se fixera pas sur tes terres et n'y installera pas sa demeure. Après son départ, reviens et reprends tes habitudes. Garde-toi de la perplexité du doute et des séductions de l'espoir : ce sont là les causes principales du malheur.

Le loup décida donc de s'enfuir. Puis, il trouva [bon] de contrôler [la sagesse] de cette décision, appela un de ses frères, lui exposa les conseils du renard. L'autre trouva ces conseils insanés, et les réfuta :

— Si tu fuis, les dommages qu'entraînera pour nous ton abandon seront plus grands que ceux que l'ennemi pourrait nous causer. Dans cette île nous sommes dispersés comme des plumes [au vent]. Nous n'avons ni terrier pour nous sauver, ni retraite où nous refugier. Si on nous poursuit, on l'atteindra aussi bien que nous ; si on nous cherche, on nous découvrira, tandis que le renard se cachera dans le premier terrier [venu] et personne ne pourra avoir de ses nouvelles, ni retrouver sa trace. Un sage a dit : Quand on rencontre son ennemi sur un terrain où l'on sait que l'on trouvera la mort, que l'on se batte ou non, il convient de se battre par dignité et par honneur. Mais [de plus], à mon avis combattre le roi est [signe] d'énergie ; passer à l'action est [preuve] de fermeté. Pour faire la guerre, il ne suffit pas d'endosser les armures, d'avoir des hommes nombreux, mais il faut plutôt [garder] sa lucidité, [conserver] patience et sang-froid dans les moments de colère et se soumettre au destin.

Le loup se rangea à cet avis et rejeta celui du renard. Il partit donc au combat. Lorsqu'il s'approcha du champ de bataille, la panthère lui tendit une embuscade. Une fois les armées aux prises et alors que les deux camps avaient de [nombreux] blessés, les [guerriers] embusqués sortirent par derrière et la panthère se lança à l'attaque. Mukābir fut le premier tué. Le roi *réduisit ses troupes et les mata*. Tous les loups furent faits prisonniers et avec eux le renard. La panthère ordonna de les

(1) litt. tu n'as pas une main pour le contenir.

— Si vous envoyez, dit le troisième, contre lui l'un de vos [généraux], il n'est pas certain qu'il n'en ira pas de lui comme de ceux qui ont déjà été tués. Il y a là pour vous un [péril] dont je prie Dieu de vous protéger. Si vous agissez avec lui pacifiquement, [si] vous lui lâchez la bride sur le cou, [si] vous le [laissez] se conduire en tyran tout le temps qu'il [voudra, si] vous lui accordez de jouir de sa province et des biens dont il s'est emparé, sa puissance croîtra, ses ruses triompheront, son action [s'étendra de plus en plus] rapidement et aura des conséquences toujours plus grandes. Il faut, à mon avis, que le roi lui-même marche contre lui entouré de ses généraux, de ses partisans, de ses alliés et des seigneurs de son royaume. Dans la guerre, en effet, seul un roi peut résister à un roi. La dépense d'une telle expédition sera source d'un grand profit. Refuser de [l'engager entraînerait des pertes certaines. Arracher cette mauvaise graine (1) permettra à vos plantes de croître ; le combattre assurera votre vie.

Le roi se rangea à cet avis. Il se mit en route avec des équipements et des munitions [en abondance]; [il était accompagné] de ses partisans et de ses généraux.

En apprenant la nouvelle, le loup fut terrifié. Il accourut vers le renard et lui dit :

○ Abu--Sabāḥ ! tu connais déjà la nouvelle de ce terrible malheur. J'ai besoin de ton avis : donne-le moi ; c'est pour de telles conjonctures que je t'ai nourri (2).

— Tu m'as demandé mon avis au début de cette affaire, répondit le renard, et je n'ai pas été avare de conseils. Redoutant pour toi une telle issue, je t'ai mis en garde contre le désastre de la chute. Tu ne m'as pas écouté et tu t'es engagé dans l'erreur jusqu'à ce qu'on ait démasqué ton insubordination et qu'il ne te soit plus possible de fournir aucune excuse. Je t'ai conseillé d'affronter tes pairs et de combattre les ennemis auxquels tu [peux] te mesurer. Tu m'as écouté et tu t'en es bien trouvé. Mais voici qu'arrive sur toi, [conduit par] le roi, un danger que tu n'es pas de force [à affronter]. Si tu

(1) litt. arracher sa racine.

(2) litt. "que je t'ai fait manger la soupe.

A peine avaient-ils, dit l'auteur, achevé cette conversation que Ḥaddāš parut avec ses soldats. Le loup s'avança contre lui et quand ils furent face à face, il invita la panthère [à se battre] en duel. Celle-ci le chargea en proclamant :

« Je suis Ḥaddāš et mon père Aḏḏād
Ma dextre tient [un sabre] qui tranche et qui brise ;
Il possède l'impidité et éclat (1)
On dirait l'éclair qui amène une pluie rapide ;
La tête garde trace de ses morsures.
Il protège honneur et réputation. »

Mukābir s'élança en improvisant :

« Je suis Abū-l-Firā' le fils d'al-Muntahis
Ma dextre tient [un sabre] qui frappe et qui brille ;
On dirait l'éclair du Yemen dans les ténèbres ;
Il fait éclater les têtes et mourir le souffle [de la vie] ;
Il dérobe les âmes des ennemis ;
Il protège l'honneur de toute souillure. »

D'un coup de griffe Ḥaddāš lui arracha la patte. Mukābir le mordit et l'éventra. La panthère tomba raide morte. On transporta le loup évanoui. On le soigna et il finit par guérir. Le roi apprit la mort de Ḥaddāš et la déroute de son armée. Saisi d'effroi, il crut que cela annonçait la fin de son règne. Il se hâta vers ses ministres et ses conseillers (ils étaient trois) .Il leur fit part de la mort de leur frère Ḥaddāš et leur demanda conseil.

— Je constate, dit le premier, que votre ennemi a contracté l'habitude de vous manger et de laper votre sang. Dépêchez contre lui une armée importante et un général résolu qui mènera contre lui une guerre sans relâche.

— Pour une déchirure, dit le deuxième, il n'y a qu'un remède : la recoudre. Il faut, selon moi, l'amuser de promesses jusqu'à ce que passe l'époque [de ses succès]. Rien ne nous assure qu'il ne défera pas une autre de vos armées et qu'il ne viendra pas vous provoquer sur votre territoire. Laissez le donc [en paix] tant qu'il vous laisse [en paix].

(1) Litt. : blancheur.

— Si on s'expose au péril pour obtenir un avantage dont on peut se passer ou pour écarter un désagrément qu'on pourrait écarter autrement, c'est une erreur. Mais si [on s'expose], au péril pour écarter un [péril] plus grand ou bien parce qu'on y est forcé et qu'il n'y a pas moyen de l'éviter, on a raison de l'affronter.

— J'ai compris ce que tu as dit sauf un point : y a-t-il danger plus grand que celui de la guerre, c'est-à-dire que celui de la mort.

— Mieux vaut se jeter dans le feu que d'être marqué par la honte.

— Décris-moi la guerre.

— La guerre est [semblable] à un corps formé de deux humeurs différentes [qu'anime] un sentiment unique avec plus ou moins de force. Les deux humeurs ce sont les mobiles des adversaires ; le sentiment, c'est l'espoir. Les mobiles des adversaires naissent du conflit entre les deux camps ; le sentiment [vient] de ce que chaque camp espère atteindre son but. Si les deux adversaires se mettent d'accord, ce serait la mort de la guerre ; si l'un d'eux perdait l'espoir de vaincre, l'autre serait sauvé.

— Tu prétends que le corps de la guerre se maintient malgré la diversité de ses humeurs. Or, il s'avère que seule l'association harmonieuse de ses diverses humeurs permet à un corps de subsister. Comment [oses-tu] faire une comparaison qui va contre ton idée.

— Il n'y a pas de contradiction. En effet, ce n'est pas dans le même sens qu'on dit que la vie du corps humain naît de l'harmonie entre ses humeurs. [Cela veut dire] plutôt qu'il n'y a pas [d'humeur] qui l'emporte et que même ainsi, les humeurs n'en restent pas moins différentes.

Demande à Dieu conseil et agit selon ce vers de Labîd (1) :

Nourris ton âme de mensonge lorsque tu lui parles,
[Parce que] la vérité enlève à l'âme tout espoir. »

(1) Labîd b. Rabî'a, poète arabe de l'époque anté-islamique, mort en 40/660. V. E. I., III, 1-2 art. de C. Brockelmann.

des pêcheurs. J'ai dépêché contre toi Ḥaddāš ibn Adḡāḡ qui [aime à se] battre contre les héros et à intervenir au milieu des combats. [Ayant] l'énergie pour cuirasse et la volonté pour aiguillon, il [se fait] précéder par la victoire et suivre par le succès. Il n'aura ni cesse ni trêve qu'il ne t'ai écorché comme on pèle le jonc (1), qu'il ne t'ai expédié en enfer. Tu passeras de l'opulence aux rigueurs de la captivité, des honneurs de la puissance aux tourments de la sujétion, de la liberté complète (2) à l'esclavage humiliant, du sommet de la fortune à la plus avilissante des conditions. Voilà à quoi, t'auront conduit tes forfaits et où t'auront jeté tes crimes. Tu gémiras alors sur tes excès ; tu supplieras [en vain] pour faire croire à ton repentir. Mais est-il possible de se relever après la pire des morts ? ! »

Quand la lettre parvint à Mukābir, il appela le renard pour le consulter.

— Par Dieu, dit-il, je n'ai échappé à Wattāb qu'à demi-mort (3). Mais Ḥaddāš a, comme tu le sais, une puissance inébranlable ; sa réputation se répand au loin ; il est courageux et intrépide. Certes, je crois que ce serait aventureux de l'affronter et qu'il convient de l'éviter. Qu'en penses-tu ?

— Ce n'est pas une aventure que de faire la guerre sans être sûr du succès.

— Si s'engager sans certitude n'est pas une aventure qu'est-ce donc l'aventure ?

— C'est faire fi de la raison.

— Mais les sages n'ont-ils pas dit : se lancer dans l'aventure est une erreur.

— Tu dis vrai ; mais cette maxime offre une expression générale qui cache deux sens : si on peut éviter les dangers, c'est une erreur de s'y exposer ; sinon on a raison de les affronter.

— Mais dans quel cas est-on dans l'erreur et dans quel cas a-t-on raison ?

(1) Litt. : qu'il ne t'ai battu comme on bat les tiges de salama ; salama indique un arbre dont l'écorce est utilisée pour tanner le cuir.

(2) Litt. : du dégagement de la condition.

(3) Litt. : avec l'âme au menton.

fouet du châtimeut et [gagné] une coupe de poison et de fiel (1). Lorsque tu verras les mailles de fer qui s'entrelacent fortement, les étendards qui flottent au milieu des guerriers, [lorsque tu verras] l'éclair des épées sourire aux assauts et annoncer la mort, le bois des lances se briser, les boucliers éclater, la pointe [des armes] ruisseler de sang, les cœurs frémir, les poitrines tressaillir, les bras (2) se rompre, les crânes s'ouvrir, les têtes être arrachées, alors tu passeras de la joie à la tristesse, de l'allégresse à l'affliction, de la gaieté au remords(3), de l'insouciance à l'accablement, de la jubilation au désespoir et de la tranquillité à la consternation. O toi qui es dans l'erreur, sache que le mensonge possède un empire à cause de l'injustice du sort et des exigences impérieuses de la fortune. La victoire des [hommes] infâmes et les arguments des sots permettent à cet [empire de subsister] en paix. Les gens envieux et vils veillent sur lui ; les médiocres et les simples d'esprit le protègent. Mais quand [ceux qui en sont] les seigneurs et les princes le croient solidement établi (4) et prêt à donner des fruits (5), [quand ils pensent] que les piliers en sont bâtis, le trône affermi, [lorsque] les plus timides (6) parlent [en sa faveur], que les [esprits] pusillanimes [rallient] la rébellion, [quand] leur complot [semble] avoir réussi et que leur étreinte s'est resserrée, alors la main de la vérité s'abat sur cet [empire] : elle en coupe la tête, en extirpe les racines (7) montre la vanité de ses promesses, ruine sa prospérité (8), en déjoue les complots; elle en épuise les forces, en renverse les piliers, en affaiblit la vigueur ; elle réduit au silence ses partisans, étouffe [enfin] ses [dernières] lueurs.

Tel sera l'aboutissement de ta [conduite]. Quand l'imposture triomphe, c'est alors qu'on peut reconnaître les gens sensés et éprouve l'intelligence des hommes de savoir et d'expérience ; [mais] quand vient le succès de la vérité (9), [c'est l'heure] de la vengeance contre les criminels et du châtimeut

(1) Litt. : coloquinte.

(2) Litt. : les avant - bras.

(3) Litt. : reproche.

(4) Litt. : que le pied en est devenu robuste.

(5) Litt. : que les éclairs en annoncent la pluie.

(6) Litt. : silencieux.

(7) Litt. : en fauche l'herbe sèche et en coupe [la végétation] luxuriante.

(8) Litt. : en dément les nuages et en écarte la pluie abondante.

(9) Litt. : les hommes de la vérité.

s'avança vers son ennemi. Lorsqu'ils furent face à face, Waṭṭāb dit :

— Pourquoi faire tuer nos compagnons ? Battons-nous en duel ! C'est un arbitrage équitable pour trancher les querelles.

— Les êtres n'ont pas tous la même valeur et ta proposition n'est pas juste.

— La valeur ne se prouve pas quand on prétend la posséder et les paroles [ne valent] que par les actes. Montre-nous donc ce qui prouve tes dires et témoigne en faveur de tes affirmations.

Ils se précipitèrent l'un sur l'autre. Waṭṭāb porta un coup de patte au loup et lui déchira la peau ; ce dernier le mordit et lui trancha la veine jugulaire. Waṭṭāb tomba raide mort et ses troupes se dispersèrent. On emporta Mukābir grièvement blessé. Mais il ne tarda pas à guérir et à retrouver toutes ses forces.

Quand il l'apprit, le roi fut rempli d'horreur à la nouvelle de la mort de Waṭṭāb et de la déroute de son armée. Il leva d'autres troupes dont il confia le commandement à une panthère nommée Ḥaddāš ibn 'Aḏḏād : c'était un de ses compagnons les plus sûrs, connu pour sa bravoure et son courage. Il lui donna armes et munitions et lui remit la lettre suivante pour le loup.

« Au nom de Dieu le Clément, Miséricordieux. Que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad, le Prophète illustre. »

Du Roi des panthères, al-Muẓẓaffar ibn Maṣṣūr au rebelle Mukābir ibn Musāwir le bien nommé (1). Que le salut soit sur ceux qui sont dans la bonne voie (2).

Par le meurtre de Waṭṭāb, tu n'as pas attiré sur toi une pluie abondante, ni fait jaillir [les sources] d'un breuvage délicieux ; tu as seulement excité le

(1) Litt. Celui qui ressemble à son nom.

(2) Coran, s.20, v. 47.

qu'un moment viendra pour toi où les étoiles brilleront en plein jour et où tu seras encerclé. Ce jour là, comme a dit le poète :

« Les étoiles apparaîtront en même temps que le soleil brillera [Où] la lumière ne sera pas lumière, ni l'obscurité ténèbres. »

« Ce jour-là sera néfaste pour toi ; il commencera ici-bas et se terminera dans l'au-delà. Comment échapperas-tu alors à Dieu quand il te demandera [des comptes] et qu'il te tiendra dans sa main. Est-ce contre nous que tu lèves l'étendard de la révolte et allumes le feu de la guerre, [dans l'espoir] d'éviter une mort certaine et d'échapper aux menaces et avec l'intention de résister aux décrets de Dieu — qu'il soit béni et exalté — et de te soustraire à ses ordres ? Satan a fait miroiter devant toi des espérances qui brillent comme des mirages ; vanité que de vouloir s'y désaltérer !

J'ai lancé contre toi Waṭṭāb ibn al-Muntahiš, le défenseur de la vérité, le protecteur de notre patrimoine, l'exécuteur de nos vengeances et le gardien fidèle de nos ordres. Il te transpercera, te tranchera de son épée et te jettera dans l'abîme. Regarde à tes pieds, c'est sur ton sang que tu vas marcher. Si tu ne veux pas comprendre, puisse Dieu provoquer ta chute (1) .»

Quand la lettre parvint au loup, il fut pris de frayeur et sut que la guerre était inévitable. Qu'en penses-tu ? dit-il au renard.

— Une opinion, répondit ce dernier, est comme un arbre : elle ne donne de fruits qu'à certains moments ; si tu négliges de les cueillir, tu en perds tout le profit. Tu avais la possibilité d'éviter ton ennui au moment où il était facile d'y voir [clair]. Mais maintenant, il est certain que tu dois affronter l'ennemi ; sois donc prêt pour le faire (2). Je te vois des armes nombreuses, une constitution robuste, un corps solide et un courage inébranlable. Livre donc combat à Waṭṭāb avec énergie et ardeur ; son arrivée est, sans doute, imminente.

A peine s'étaient-ils séparés qu'il virent s'élever la poussière. Le loup

(1) Litt. : Sur les mains et la bouche.

(2) Litt. : retrousse-toi pour la guerre.

frirons, c'est celle des étendards et tu ne sentiras que l'odeur forte de l'acier. Il serait plus sage pour toi d'abandonner la témérité et de montrer plus de jugement ; sinon, j'adapterai ma conduite à la tienne (1).

En recevant cette lettre, le Roi-panthère fut pris d'inquiétude. Il jura d'arroser la terre du sang du rebelle. Il désigna pour le combattre une panthère nommée Wattāb ibn al-Muntahiš (2). C'était un guerrier endurci par les guerres, aguerri par les combats, impétueux dans l'attaque et vénéré par [tous] les sujets [du royaume]. Le roi lui ordonna de se porter [à la rencontre] du loup et de lui livrer bataille. Il lui remit [aussi] une lettre pour effrayer [l'adversaire], le terroriser et abattre son courage (3).

« Au nom de Dieu le Clément, Miséricordieux. Que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad, le Prophète illustre. »

« O fils d'une mère infâme, esclave [soumis] à la trique, [crois-tu] que la guerre nous fait peur, à nous qui sommes sortis de son sein et qui avons été nourris de son lait, [à nous] qui soulevons la poussière et les tourbillons [de ses combats], [qui l'affrontons] en plongeant dans ses flots et dans ses gouffres. Nos glaives font pleuvoir des nuages de sang et l'éclair jaillit de nos lames. Fils de la mort, nous avons été engendrés par l'épée. Nulle révolte n'éclate sans que nous ne la réprimions ; nul factieux ne comploté sans que nous ne le fassions périr. Nos citadelles ce sont nos armes ; [qui] nous rencontre [rencontre] le combat ; les sources [d'eau douce] deviennent les fontaines de la mort ; leurs eaux deviennent les coupes du trépas ; nous remplissons ces coupes en invoquant le nom de Dieu et nous allons installer nos tentes au bord de ces sources. Lorsque tu verras tourner le Moulin de la mort, jaillir le sang des héros, se produire le choc des guerriers, quand on n'entendra que plaintes et rugissements, cris de colère et gémissements, alors tu chercheras un refuge pour te protéger, et tu te retrancheras dans une forteresse pour te mettre à l'abri ; alors tu te mordras les doigts de remords, mais ce ne sera plus l'heure du remords.

Sois sûr, [homme] orgueilleux, qui t'entêtes dans ton aveuglement,

(1) Litt. : ta religion sera la mienne.

(2) Ce qui veut dire : le bondissant fils du Vorace.

(3) Litt. : réduire son bras en poussière.

corde le destin, tu t'es rejoui d'avoir des biens et des collaborateurs en abondance. Tu as fini par croire qu'il était [à jamais] interdit au sort de t'abattre et que ton heure était oubliée jusqu'à la résurrection. On croirait que tu n'as pas vu tous ceux font preuve d'entêtement manifeste, et d'une puissance oppressive, qui ont eu troupes et alliés : par démesure, ils sont tombés dans l'injustice ; par [excès] de force, ils ont versé dans la témérité ; leurs richesses [les ont conduits] à la dépravation. Comme le temps a brisé leurs espoirs ! Il a ébranlé les fondements [de leur puissance], démoli leurs [belles] constructions, dispersé leurs troupes, rompu leur union, émoussé leur énergie (1). Il les a livrés à la déchéance et à l'humiliation, aux malheurs et aux châtements. Leur sentiment de sécurité les exposait alors aux coup de l'illusion, leur quiétude les précipitait dans des chausse-trapes (2) et le temps leur apportait les malheurs du destin. Leur confiance en l'avenir a provoqué leur chute ; les faveurs de la fortune ont changé à leur dépens. Après la puissance ils ont connu l'indignité, après la gloire la honte. Ainsi finissent ceux qui méconnaissent le droit, méprisent les faveurs [de la fortune], s'abandonnent à la vanité, se drapent dans l'orgueil, ce fléau de la raison, et s'arment des forces de la passion pour [réaliser leurs] désirs.

Me crois-tu pareil à une branche fragile ou à « l'herbe sèche d'un enclos » (3). Non ! c'est bien plutôt une main vigoureuse qui s'abat sur toi, un ennemi implacable qui t'assaille, des projectiles (4) irrésistibles qui te frappent. C'est une pointe dont Dieu vous transperce ; qui est touché ne saurait survivre ; la douleur [qu'elle cause] ne peut s'apaiser. Elle [fait] suffoquer les despotes [pleins] d'arrogance et les oppresseurs tyranniques comme toi. Tout doux ô Panthère ! (5). Nos corps ne supporteront plus jamais d'être humiliés par ta domination. Nous ne nuiront plus à nos propres [intérêts] en nous soumettant à ton autorité. Pour toi, il n'y a plus chez nous que des sabres tranchants, des mêlées et des assauts, des héros à qui te mesurer et des pairs avec qui croiser le fer. La seule ombre que nous t'of-

(1) Litt. : ébréché leur tranchant.

(2) Litt. : leur quiétude leur lançait (des flèches) par l'arc des faux-pas.

(3) Expression coranique ; s. 54 ; v. 31.

(4) Litt. : des pierres.

(5) Litt. : ménage-toi toi-même.

tu sois capturé : alors tu regretteras [ton attitude] et tu n'obtiendras [plus] le pardon. Qui veut, dit-on, éviter le combat [doit le faire] avant de s'y engager. Sache qu'il y a trois sortes d'hommes : deux sont résolus, le troisième est incapable. Parmi les deux [types d'hommes] résolus, il en est un premier qui, sous les coups du malheur, ne cède ni à la consternation ni à l'affolement : il reste assez lucide pour trouver un stratagème qui le sauve de la situation où il s'est mis. Plus résolu encore, [est le second] qui n'est jamais démuni et qui prévoit les événements avant qu'ils ne se produisent. Quant à l'homme incapable, c'est celui qui reste dans l'indécision et la perplexité jusqu'à sa perte.

— Il n'en va pas exactement comme tu l'as exposé. Dans la guerre, on a seulement besoin de bravoure.

— Une erreur de jugement peut égarer la bravoure. Un jugement sain peut se passer de bravoure, mais le courage ne peut jamais dispenser du jugement.

— Instruis-le à nouveau, dans une lettre, de notre insoumission. On connaît l'homme à sa sincérité, non à sa menace.

Le renard écrivit alors [la lettre suivante] :

« Au nom de Dieu, le Clément, Miséricordieux ; que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad, le Prophète illustre. »

J'ai lu ta lettre qui dévoile le fond de ta pensée et met en lumière la faiblesse de tes moyens. Tu m'ordonnes de venir te trouver et de me présenter devant toi, sinon [il me faudrait] me préparer à la guerre et me méfier de tes ruses. [En fait], depuis longtemps tu te fourvoies dans l'erreur et te complais dans l'égarement, te croyant en sécurité et à l'abri des suites qu'entraîne le repentir. Tu te lances dans tes entreprises, avec des vœux et tu retiens tes serviteurs par des promesses. [Jusqu'à présent], le temps t'a laissé à l'abri de ses vicissitudes : il t'a fait courir sur la corde de ses illusions ; il t'a rendu aveugle devant les malheurs qu'il dissimule et t'a comblé de toutes les jouissances (1). Tu t'es laissé grisé par le délai qu'ac-

(1) Litt. : t'a vêtu des parures de ses jouissances.

A la lecture de cette lettre, le loup eut la certitude que le pire [allait se produire] et comprit qu'il ne pouvait espérer d'indulgence ni de la panthère ni de qui que ce soit. Il convoqua le renard et lui dit :

— Qu'en penses-tu ?

— Les sujets, répondit-il, ne peuvent faire la guerre aux rois ni se mesurer à eux.

— Et pourquoi donc ?

— Parce qu'ils manquent d'organisation et leur endurance ne saurait [se prolonger]. Pour combattre les rois, deux forces sont nécessaires et la seconde naît de la première. De leur union résulte la victoire ; grâce à leur puissance on peut faire jaillir l'eau du roc ; leur ardeur suffit à éteindre les flammes. Tant qu'elles durent, on ne saurait perdre courage ; tant qu'elles servent de soutien on ne craint pas l'épuisement. Qui les rejette perd tout appui ; quiconque [se croit assez] habile [pour s'en passer] encourt le mépris ; qui les affronte est [vite] vaincu. Ne défais pas la toile qu'a tissée l'obéissance. Que ceux qui ont tenu tête aux rois, au cours des siècles écoulés, te servent d'exemple ; vois quel sort a été le leur ! Tu as là matière à réflexion ; tu as là un spectacle édifiant.

— Quelles sont ces deux forces à propos desquelles tu me mets en garde et que tu juges si importantes ?

— Ce sont l'argent et les hommes. Elles dépendent des rois et leur appartiennent, et non à toi. Tenir tête, dit-on, à un roi avisé et habile pour qui [tout le monde] travaille, qui ne se laisse griser par la prospérité, ni abattre par l'adversité, c'est courir à sa perte. Être l'ennemi des rois, dit un sage, c'est [affronter] le torrent dans la nuit : tu ne sais comment il arrivera sur toi, ni comment t'en protéger.

[Tu n'as donc que deux solutions] : ou bien tu vas trouver le roi pour mettre ta main dans la sienne en signe de paix, ou bien tu cherches un lieu où te retirer, ou quelque autre moyen d'assurer ta sauvegarde. Contre l'ennemi, disait-on, qui vous écrase [de sa force] et qu'on ne peut atteindre par surprise, il n'y a que la fuite. Ne reste pas indécis et perplexe, jusqu'à ce que

les premiers, une attitude hostile, il faudra lui faire la guerre, mobiliser les hommes et dépenser des sommes qui dépasseront les tributs que sa province aurait dû rapporter. En outre, on ne peut prévoir l'issue des combats, car il s'agit de la guerre et la guerre est capricieuse. En cas de succès, ce sera après des dépenses ruineuses et l'effusion du sang ; dans le cas contraire, la situation n'aura fait que s'aggraver et empirer. L'ennemi s'implantera alors partout et les révoltes se multiplieront. L'homme le plus intelligent, dit-on, est celui qui ne recourt pas à la guerre, tant qu'il peut atteindre son but par d'autres moyens ; dans la guerre, en effet, tout se solde en vies humaines ; ailleurs, on dépense de l'argent. Qui partage le repas de l'éléphant risque de manger son dernier repas (1).

— Le troisième ministre dit alors : Je n'approuve ni cet avis, ni le précédent. Je pense qu'il faut le prendre de vitesse et lui déclarer la guerre, avant que la situation ne devienne critique, qu'il ne prenne trop d'importance et qu' [il n'ait le temp] de mettre au point ses intrigues. Pour le prince, il ne saurait y avoir de trop grandes dépenses pour pacifier une province, [même] petite : la portée de [l'opération] ne se limite pas à la province en rébellion à l'exclusion du reste des provinces et des régions éloignées. Quand les gens de la sédition, qui sont actuellement soumis, voient le prince se conduire avec des sujets dissidents comme le conseille le deuxième ministre, ils relèvent la tête pour s'insurger, secouent le joug du pouvoir et brandissent l'étendard de la révolte. Il en résulte une situation dont ne profite ni la religion, ni la vie en ce monde.

La panthère suivit les conseils du premier ministre et donna l'ordre d'écrire, au loup, la lettre suivante :

« Au nom de Dieu le Clément Miséricordieux. Que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad le Prophète illustre. »

« Je te vois faire un pas en avant, un autre en arrière. Quand tu auras vu cette lettre, choisis, entre ces deux [attitudes] celle que tu voudras. Si tu veux la paix, présente-toi devant moi ; sinon, prépare-toi à la guerre. Salut. »

(1) Litt. : qui mange avec l'éléphant mange avec la mort.

« Au nom de Dieu le Clément Miséricordieux.

Que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad, le prophète illustre. »

« J'ai reçu la lettre du roi — que Dieu nous fasse jouir [de ses bienfaits] — avec ses avertissements et ses menaces, ses prémices et ses conclusions et je l'ai bien comprise. Quand le roi — que Dieu le préserve — m'a confié le commandement de cette région frontalière, l'ennemi l'infestait, les routes en étaient coupées, la discorde y régnait, les passions la déchiraient. J'ai alors rétabli l'ordre, ramené [les sujets] à l'obéissance, dissipé les ténèbres de la révolte, rendu le goût de vivre après l'angoisse (1) et abattu les partisans de l'hostilité et de la haine. J'ai rétabli les droits méconnus et décapité l'erreur dont chacun fréquentait les domaines. J'espérais, de la sorte, obtenir une récompense considérable, mériter la gloire, plaire au roi et [gagner] ses faveurs ; [mais] tout ce que j'ai fait [s'est envolé] en poussière et je n'en ai tiré aucun remerciement. [Cependant], je ne suis pas de ceux auxquels on fait peur en remuant de vieilles outres ; je suis [au contraire] un adversaire acharné et qui n'est pas sans envergure. Si le roi va jusqu'au bout de ses bienfaits et persiste dans ses faveurs, je serai le plus fidèle de ses serviteurs (2) ; sinon, il trouvera « à qui se frotter » : le sang coulera si je gratte la plaie ; [je suis un ennemi] féroce (3), grand frappeur de coups d'épée. Salut. »

A la lecture de cette lettre, le roi comprit que le loup était décidé à la rébellion et à la guerre. Il réunit ses ministres — ils étaient trois — et les consulta à son sujet.

— Je pense, dit le premier, que le Roi devrait lui adresser une courte lettre pour connaître le fond de sa pensée et sonder ses intentions. De la sorte, il pourra agir avec lui en connaissance de cause et en se fondant sur des preuves [irréfutables].

— Je pense, dit le deuxième, que le Roi doit se montrer conciliant, lui pardonner sa faute et renoncer [aux biens] qu'il détient. Si nous prenons,

(1) Litt. : j'ai rendu la salive facile à avaler par [ceux qui] suffoquaient.

(2) Litt. : je suis entre le bâton et l'écorce.

(3) Litt. : rouge.

leur faire des reproches, rien ne les arrête. Se trompent-ils, on les approuve ; ont-ils raison, ils poussent [leur avantage] jusqu'à l'excès. Sous le coup de la passion, leur caractère devient excécrable ; ils punissent sans discernement. De connaître le zèle, la vigilance et la longue fidélité de leur plus proches [collaborateurs] ne les empêche pas de les tuer sur un mouvement de colère. [Pourtant] il ne manque jamais de candidat pour demander la place de la victime et briguer, contre tous, cette faveur. Ni le successeur ne médite l'exemple de celui qu'il a remplacé, ni le roi ne tire la leçon de l'excès qu'il a commis [. . .]. Sois donc souple avec lui et prend la voie de la docilité puisque tu le représentes dans les charges qu'il t'a accordées. Ne te retranche pas dans ta fierté, sinon il en usera avec toi par la contrainte et par la force.

— Je comprend, dit le loup, les conseils que tu m'apportes, l'opinion que tu soutiens, et les vérités que tu me montres. Mais je n'ai jamais été homme à accepter l'humiliation, ni à me résigner devant l'affront. [D'ailleurs], le roi a montré une telle colère que sa confiance est entamée et qu'il n'y a rien à faire pour la retrouver.

— Si le courroux est motivé, il y a moyen de réparer [l'offense] ; sinon, cela est impossible, parce que, quand on cherche, on trouve toujours un grief contre quelqu'un.

— Dans ce cas, la mort est inévitable. Et je préfère mourir dans la dignité plutôt que de vivre dans l'humiliation. Tout [en fin de compte obéit] au destin.

— Les arrêts de Dieu, même s'ils sont inévitables, n'empêchent pas l'homme résolu de se protéger contre les dangers et de se garder des périls, mais il joint la croyance au destin à la prudence.

— Quand on cède rapidement, on risque de ne pas éviter les faux-pas. Rédige, sans tarder, une réponse à mi-chemin entre la douceur et la sévérité.

Le renard comprit alors qu'il voulait entrer en rébellion et qu'il allait braver le roi ; la fortune acquise l'avait rempli de suffisance.

Il écrivit la lettre suivante :

aveugle dans la nuit. Il oublie d'exprimer sa reconnaissance pour les bienfaits [dont il jouit] ; il se soucie peu de son devoir. Par ingratitude, il ne se rappelle plus quelle était sa condition antérieure et comment, en ces temps lointains, aucune démarche, aucun effort ne lui répugnait pour apaiser sa faim et cacher sa misère ; alors, il n'avait pas les moyens d'éloigner de lui l'humiliation de la pauvreté ni de libérer ses épaules du joug avilissant du dénuement. Tu es cet homme toi qui as obtenu du prince, sans le remercier de ses bienfaits ni lui en savoir aucun gré, des faveurs qui t'ont placé en avant de tes semblables et de tes congénères.

Si je n'avais pas voulu connaître tes excuses et éviter de t'imposer un fardeau trop lourd pour toi, si j'étais de ceux qui cherchent [seulement] une justification sans se soucier des raisons apparentes ou fondées [qu'on peut leur présenter], si je n'avais pas voulu retenir le châtement pour essayer d'abord la douceur et accorder la clémence avant de tirer vengeance, je me serais abstenu de t'écrire et de te mettre en garde ; je t'aurais laissé expier les fautes que tu as commises. Dieu ne traite pas injustement ses créatures. Cesse donc de t'obstiner dans ton égarement et écarte-toi de l'erreur, puisque la porte du repentir est ouverte pour toi, toute prête à accueillir ton retour à la sagesse, tant que tes excès ne t'aient pas précipité dans le malheur. Dieu ne repousse que l'homme injuste. Salut. »

Lorsque la lettre parvint au loup, il vit la situation passée et présente et dit :

— O Abu-ş-Şabāḥ ! as-tu bien entendu ces menaces ; mais l'orage qui gronde n'amène pas toujours la pluie.

— O prince ! répondit le renard, la panthère, même si elle a le caractère emporté que tu connaît aussi bien que moi, porte, de la royauté, les insignes et le titre et se conduit comme tous les autres rois. Or les rois sont des enfants [quand il s'agit] de satisfaire [leur bon plaisir], des adultes [quand ils sont] en colère. Ils condamnent à mort en riant ; ils exterminent toute une tribu en plaisantant. Ils mêlent sérieux et plaisanterie. Quand ils châtent, c'est sans commune mesure avec la faute. Ils s'emportent pour une chose futile, pardonnent une faute grave. La mort et la vie sont accrochées à l'extrémité de leur langue. Comme ils ne connaissent pas la douleur du châtement, ils [ne sauraient] épargner [le coupable] ; comme nul ne peut

un refuge hors d'atteinte et un asile inaccessible. Pourquoi le roi — que Dieu [nous] fasse profiter de sa générosité — ne maintient-il pas des bienfaits dont il est l'auteur et qu'il a multipliés par l'effet de ses dons généreux, de ses immenses faveurs et de ses grandes largesses. Ses menaces m'ont privé de sommeil et m'ont jeté dans l'inquiétude ; son revirement m'affige et ses accusations me tourmentent. Cependant, connaissant sa clémence qui ne s'est point démentie vis-à-vis de moi, je suis sûr qu'il pardonnera ma faute. En me soustrayant à sa colère, il confirmera ma croyance en sa miséricorde ; sinon — Dieu nous protège — quelle chute pour celui que sa prudence n'aura pas préservé et quel malheur pour lui : [il ne lui restera plus qu'à] crier au secours ! Et maintenant me voici devant le roi pour subir ses rigueurs ou bénéficier de sa clémence, lui auquel s'applique ces dits d'un poète :

« Quant il punit son châtement est terrible ;
Quand il fait montre de prodigalité, il ne se soucie de rien »

Lorsque la lettre parvint au roi-panthère, celui-ci se réjouit de voir le loup y exprimer sa reconnaissance, présenter ses excuses, reconnaître ses fautes et demander pardon. Il vit, dans cette [attitude], la preuve de son sincère repentir et de sa [volonté] de se ressaisir. Il nourrit l'espoir de voir arriver ses cadeaux et ses présents. Dans l'attente, il ne cessa de s'enquérir de [l'arrivée] de ses messagers. Mais les jours et les mois passèrent sans qu'il vît rien venir. Exaspéré, il donna l'ordre de lui écrire la lettre suivante pour le blâmer sévèrement et lui faire des remontrances.

« Au nom de Dieu le Clément miséricordieux ; que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad et qu'il lui accorde le salut. »

O scélérat ! Celui qui prend le loup pour berger est insensé. Quand les bienfaits laissent un répit au gremlin pour lui permettre de jouir du bien-être et pour l'éloigner de la gêne, celui-ci en vient à se délecter de son insolence et à se complaire dans son arrogance. [En fait], il se laisse aller à l'appel du malheur : c'est un homme qui, par une nuit obscure, court au « bord croulant du précipice » (1), fonce vers le péril comme la chamelle

(1) Expression coranique, S. 9., v. 109.

— Qui veut épouser une belle doit y mettre le prix. Les paroles fleuries ne relèvent pas celui qui a fait un faux-pas. La sincérité [seule] laisse dans l'âme des traces que ne peuvent effacer les vents du malheur. Si tu crois que, pour mériter que le roi accepte de te reconnaître innocent des griefs qui t'ont valu ses reproches, il suffit que je rédige un discours qui, aux yeux de tout homme sensé, paraisse habile et d'excellente facture, tu te nourris de mensonges et commets ainsi une erreur que personne ne peut commettre.

— Ecris sans plus me contredire !

Le renard écrivit la lettre suivante :

« Au nom de Dieu le Clément miséricordieux ; que Dieu accorde sa bénédiction à notre seigneur Muḥammad, le prophète magnanime ainsi qu'à sa famille et qu'il leur accorde le salut.

« La lettre du roi m'est parvenue avec ses reproches et ses menaces et je l'ai [bien] comprise. Le roi y rappelle la gêne dans laquelle je vivais et que j'aurais feint d'oublier, la détresse qui m'assailait, le malheur qui me déchirait de ses griffes et me meurtrissait de ses morsures avant que le roi ne me sauvât du péril et me tirât de l'abîme ; il y rappelle aussi qu'après avoir connu toutes les formes de la misère, je devais savoir où se trouve le droit chemin et adopter une conduite exemplaire. Cependant l'expérience passée, grâce à Dieu qu'il soit loué, n'a pas révélé en moi que je sois lâche ni couard, poltron ni pleutre. Je suis [au contraire], comme a dit le poète :

« un quinquagénaire en possession de toute sa vigueur,
et endurci par l'expérience de la vie. »

« Toutefois, la main du roi brille dans mon esprit de l'éclat de ses bienfaits, qui sont l'objet de ma gratitude et que je ne rejette ni ne renie. [Ses faveurs sont tels un arbre] que mes sentiments font fructifier et dont l'ombre, me protège, [un arbre] fécond et verdoyant que je nourris par le flot de ma reconnaissance et alimente par l'expression de ma gratitude, qui ne saurait être fauché par les jours qui s'écoulent, ni rongé sous l'effet des reproches, [un arbre] dont je puise régulièrement la sève abondante pour me désaltérer. Pourquoi donc ces suppositions de la part du roi, alors que je suis son obligé et que je vis, grâce à ses largesses, dans le bien-être ? Je jouis de sa protection et suis protégé par sa force ; [sa puissance] m'offre

ses leçons, te révélant les vicissitudes de la fortune et te dévoilant les caprices du bonheur et du malheur. Mais parce que tu as acquis corpulence et embonpoint, tu t'es installé dans ton orgueil et complu dans ton insolence. Satan t'a séduit de ses cris [de corbeaux] et tu l'as laissé s'emparer de ton jugement et tu as courbé le front devant lui pour lui obéir. Tu t'obstines [ainsi] dans ta sottise et te précipites dans ton égarement, persuadé que ton affaire restera cachée et que personne n'examinera ta conduite. Et pourtant tu sais bien quelles conditions tu t'étais fixées à toi-même et comment tu avais engagé ta parole et ton honneur. Je jure que si tu n'enlèves pas de ton cou la corde de la suspicion, si tu ne mets pas un terme à ta rébellion, si tu ne te corriges pas au moyen des proverbes et des leçons que donne la sagesse des nations, je t'apprendrai à reconnaître tes erreurs, à ne pas quitter le droit chemin, à réparer les fautes passées et à effacer les traces de tes mauvaises actions : je te foulerai jusqu'à ce que tu sois brisé. Ceux qui sont injustes sauront vers quel destin ils se tournent (1). »

Lorsque la lettre parvint au loup, celui-ci donna l'ordre au renard de la lui lire. Il la jugea grave et inquiétante et fut pris par une vive angoisse.

— Qu'en penses-tu O Abū-ş-Şabāh ? dit-il au renard. Qui, d'après toi, a poussé le roi à [m'écrire] de la sorte.

— Le roi, répondit celui-ci, t'a trouvé lent [à faire ce qu'il attendait de toi] en te nommant gouverneur, puisque tu n'as pas tenu parole et que tu as déçu la bonne opinion qu'il avait de toi. Aussi te rappelle-t-il à l'ordre par cette lettre. Si tu ne rattrapes pas ton erreur et ne répare pas ta faute, grand sera ton malheur et grave ta situation. Peu de chose suffit pour clamer la colère (2).

— Crois-tu que je puisse, dans une mission qui m'oblige à m'expatrier, à subir les fatigues et à renoncer à toutes mes convictions, être assez désintéressé pour, qu'au moment où cette mission atteint son but et porte ses fruits, je laisse à d'autres la meilleure part tandis que je prends sur moi toute la peine. Non ! Ecris-lui donc une réponse et déploie toute ton éloquence.

(1) Voir Blachère. Coran : Traduction II., 214.

(2) Litt. : Le lait aigre calme la colère. Le lait aigre symbolise ici une offrande qui a très peu de valeur.

il ne l'avait pas habitué. Il s'adressa à lui en ces termes :

« Sire, ma loyauté et ma fidélité m'ont amené à fixer mon attention sur la porte du roi devant laquelle je n'ai trouvé ni collaborateurs vertueux, ni serviteurs dignes de confiance. Lorsque j'ai vu combien les charges du roi étaient nombreuses, ses tâches immenses, ses préoccupations étendues et ses dons généreux et que, pourtant, il n'avait parmi ses sujets personne pour l'aider dans sa tâche et lui épargner les soucis de sa charge, je suis venu proposer mes services ceux du moins dont je me sens capable : être un bon administrateur, bien gérer la province dont je serais chargé et en tirer profit pour le compte du roi. »

La panthère apprécia ces paroles et fonda un espoir sur [cette promesse].

— Tu as été sincère et loyal, lui dit-elle, et pour te récompenser, je vais t'attribuer une charge. Réfléchis donc à la façon de gérer [ta province], de te suffir à toi-même, d'assurer ta prospérité de rester fidèle à tes engagements. Secrétaire ! rédige un acte le nommant [gouverneur] des Sources des Gazelles et mettant sous son autorité les districts qui en dépendent.

Le loup alla alors rejoindre son poste. Il prit le renard pour lieutenant et le nomma ministre-secrétaire. Une fois dans sa province, il s'embusqua près de la route et le renard lui servit de vigie. Ils réussirent chaque jour à se procurer de quoi subvenir à leurs besoins. Leur situation devint ainsi florissante, leur poil doux, leur couleur brillante et ils éclataient dans leur peau tant ils étaient gras. [Mais] le loup n'honora pas ses engagements et faillit à sa parole, si bien qu'irritée, la panthère lui fit envoyer la lettre suivante :

« Au nom de Dieu, le clément miséricordieux. Que Dieu bénisse notre seigneur Muḥammad ainsi que sa famille et qu'il leur accorde le salut. »

« Si un homme devrait s'efforcer de sauvegarder les faveurs dont il jouissait parce qu'il avait connu le dénuement et la misère, et s'accrocher à la bonne fortune parce qu'il savait ce qu'apportait la mauvaise, si un homme devait assumer les devoirs qu'impliquent les honneurs et la dignité parce qu'il avait subi l'humiliation du mépris, cet homme, parmi tous tes contemporains, ce devait être toi, puisque le sort [a eu soin] de t'instruire de

— On peut manger à sa faim par petites bouchées, comme on peut, sans monture, parcourir des chemins difficiles. Toute personne qui fréquente assidument l'antichambre du prince, met bas toute fierté, supporte les vexations, refoule sa colère et se montre aimable avec tous, finit par obtenir du prince ce qu'elle désire.

— Ne te rejouis pas, dit-on, d'un pouvoir inique, d'une fortune illicite, d'une éloquence fallacieuse, d'une générosité mal dirigée et d'une bonne action sans piété.

— Il convient à l'homme sensé de ruser avec le sort comme le fait le nageur avec le courant. Contente-toi, dit le proverbe, de te cramponner au bateau [pour avoir la vie sauve].

— Le moyen qui permet à [l'homme] incapable d'atteindre son but est celui-là même qui empêche l'homme résolu de réaliser le sien.

— L'argent garantit un surplus de vivres et [confère] un avis autorisé. Sans argent, point de frères, ni de clans, ni de soutien. Seul l'argent met en relief la valeur de quelqu'un. En effet, celui qui en est dépourvu, lorsqu'il entreprend une action, s'en trouve empêché par l'indigence et n'arrive pas à la réaliser.

— Le pouvoir a tous les caprices de l'ivresse : il accorde ses faveurs à celui qui mériterait sa colère et sa colère s'abat sur celui qui mériterait ses faveurs. C'est pourquoi on dit : « Grand est le risque pour celui qui s'aventure au large, mais plus grand encore pour celui qui fréquente le pouvoir. »

— Celui qui n'affronte point les périls, si grands qu'ils soient, ne peut réaliser ses désirs. Et celui qui renonce à l'entreprise qui lui fera peut être atteindre son objectif par peur des dangers dont il pense pouvoir se préserver, celui-là n'obtiendra jamais grand chose. Il y a, dit-on, trois activités que personne ne saurait entreprendre sans avoir des aspirations élevées et une grande valeur : la fréquentation des rois, le commerce maritime et la lutte contre l'ennemi.

Séduit par les paroles du renard, le loup alla trouver le roi-panthère. Il lui fit ses compliments et adopta devant lui une attitude humble à laquelle

— En quoi consiste-t-il ? demanda le loup.

— Va trouver la panthère, et propose-lui de te nommer à la tête d'une province dont le gouvernement sera pour toi source de profit, établira ta réputation et te vaudra des éloges.

— As-tu donc oublié ce que je t'ai dit au sujet de son avarice et de sa méchanceté. Autant s'adresser, comme on dit, à un morceau de bois (1).

— Dis-lui que tu ne chasseras rien sans lui en envoyer la moitié. Le reste suffira à tes besoins et à ton bien-être. Si elle accepte [ta proposition], je ne manquerai pas de t'aider de mon mieux et de faire mon devoir. Conforme-toi à ces dires d'un poète :

« On ne trouve pas de quoi vivre en le demandant avec insistance ;

Jette plutôt ton sceau au milieu des autres ;

tantôt il te reviendra plein d'eau,

tantôt il ramènera de la boue et peu d'eau. »

— O Abū-ş-Şabāḥ, garde-toi, dit-on, de te lier à l'homme cupide et fourbe, car s'il te voit puissant, ta situation te rend particulièrement odieux à ses yeux, et s'il juge que tu es sans importance, il ne te laisse pas [en paix] avec ta médiocrité.

— O Abū-l-Firā', pour se désaltérer, inutile de vider la coupe. L'homme dont la vie et le rang brille d'un vif éclat, qui vit dans le faste et traite ses amis avec magnificence, celui-là son existence, même brève, sera longue ; quant à celui qui vit dans la gêne et qui se prive de tout bien être, son existence, même si elle dure, sera courte.

— Il y a, dit-on, trois choses que seuls les sots osent entreprendre et dont peu de gens se tirent indemnes : fréquenter le prince, confier un secret à une femme et boire du poison en vue de l'expérimenter.

(1) Litt. : Lui et le néant se valent.

— Il n'y a ici, répondit le loup, que les gazelles et les cerfs.

— Mais qui est-ce qui t'empêche de les chasser, ce qui me permettrait de me nourrir grâce à ta générosité (1).

— Nous sommes ici un groupe [d'animaux], et aucun d'entre nous n'ose dépasser d'un empan la porte de son logis. La maigreur et la misère dont nous sommes affligés sont inconnues ailleurs.

— Que vous est-il donc arrivé ?

— Il y a ici une panthère nommée al-Muzzaffar b. Manṣūr qui s'est instituée monarque de cette île et l'a soumise à son joug. Sa méchanceté, son avarice et sa hargne sont ceux qu'on connaît chez toutes les panthères. En te parlant maintenant, je ne me sens pas en sécurité, tellement j'ai peur [de la voir] sortir et nous apercevoir.

Les deux [animaux] se séparèrent et se donnèrent rendez-vous, le lendemain en un lieu secret. Le renard s'en alla triste et affligé à la pensée de l'hostilité des panthères et à l'idée qu'il serait privé de nourriture. Mais après avoir réfléchi, il se dit : le mérite de l'homme intelligent ne se révèle que par les difficultés et les malheurs. Par contre, dans le bien-être, combien est grande la ressemblance entre l'ignorant et le savant, le sot et l'homme sensé. En effet, l'aide que la vie prodigue à l'ignorant dissimule son infériorité par rapport à l'homme intelligent et empêche de faire la différence entre lui et ce dernier. [Quant à moi] je ne suis pas assez fort pour chasser les gazelles et les cerfs. Chacun ne peut chasser que selon ses moyens. Il ne me reste donc d'autre issue que la ruse.

Le lendemain, il se rendit au lieu du rendez-vous. Le renard et le loup se retrouvèrent en prenant garde [de ne pas être vus] par la panthère.

— O Abū-l-Firā', dit le renard, j'étais affligé de ma propre [situation] et voilà que mon affliction redouble du fait de tes confidences et des renseignements que tu m'a donnés au sujet de ta condition malheureuse. J'ai [cependant] un plan qui pourrait, si tu m'aides sincèrement à le réaliser, nous être bénéfique.

(1) Litt., à ton abondance.

Il cita alors ces vers de Umayya qui dit (1) :

« Celui qui fuit la mort ne tarde pas à la rencontrer dans un
« moment d'inattention ;
« Pourquoi désire-t-on la vie, alors que, quelque longue qu'en
« soit la durée, la mort finit par l'emporter ;
« Vers elle un guide nous conduit ; vers elle un guide nous en-
« traîne ;
« Qui ne meurt dans la force de l'âge, périt [nécessairement] de
vieillesse ; la mort est une coupe à laquelle tout homme doit
« goûter. »

Les vagues ne cessèrent de le balloter tant et si bien qu'elles le rejetèrent sur une île. Une fois sur ses pattes, il se dit : « Tant qu'il y a de la vie, il y a de l'espoir » (2). Puis il cita ce vers de A'sā (3) :

« Jeunesse et vieillesse, pauvreté et fortune ! Dieu que le sort
a de vicissitudes. »

Le renard passa toute la journée à aller et venir [dans l'île] sans entendre aucun bruit, ni voir âme qui vive. Il en fut inquiet et crut qu'il allait périr. Le lendemain matin, tandis qu'il errait, il rencontra un loup, le salua et s'enquit de son nom et de sa kunya.

— Mon nom est Mukābir, répondit ce dernier, et ma kunya est Abu-l-Firā'. Pourquoi, ô renard ! t'es-tu arrêté dans cette île où il n'y a point de nourriture pour toi ?

Le renard lui raconta son aventure et lui dit :

— O Abū-l-Firā', pourquoi m'as-tu enlevé tout espoir de trouver ici de quoi me nourrir ?

(1) Umayya b. Abi-š-Salt, poète arabe de Tāqīf, mort vers l'an 8 ou 9 de l'hégire (630-31), V. E. I., IV., 1051-1052. art. de H. Brän.

(2) Litt. n'est pas mort celui qui a été épargné.

(3) Maymūn b. Qays, poète arabe, né avant 570 et mort après 625. V. E. I., n. édit. I., 710-711. art. de Caskel.

« Les femmes sont comme les plantes qui poussent ensemble ;
« Les unes sont amères, mais l'on mange parfois ce qui l'est ;
« Lorsque les femmes te déconseillent quelque chose,
« C'est ce qu'il faut faire absolument. »

Tāriq prit alors congé et Marzūq ne quitta pas sa demeure.

Et tandis qu'il était dans cette situation, voici que déferla le torrent. Marzūq le vit et dit à sa femme : il faut agir en fonction des signes précurseurs, [car] tu connais bien ce vers de Quṭāmī (1) :

« Le mieux est de devancer les événements et non de se laisser entraîner par eux. »

Et les sages ont dit : « La pire des opinions est celle à laquelle on se range trop tard ». Marzūq cita ensuite ce proverbe : « Avant d'être lancées, les flèches doivent être munies de plumes ». Sauvons-nous, dit-il, avant qu'il ne soit trop tard (2).

— « Tout chameau dont les yeux sont velus, répondit la renarde, n'est pas [nécessairement] ombrageux ». Il est souvent arrivé, et plusieurs fois par an, qu'un courant pareil surgisse et à peine parvenait-il jusqu'à nous, qu'il avait déjà cessé. Ne nous oblige pas à quitter ce pays dont nous sommes satisfaits.

Ils en étaient à ce point de leur discussion, lorsque le torrent les surprit [dans leur terrier]. Le renard sortit alors pour fuir, mais il fut emporté par le courant. Il attrapa une planche amenée par l'eau, s'y accrocha et s'abandonna ainsi à son sort. Il ne tarda pas à être jeté à la mer. A la vue de celle-ci, il se dit : « Reprends-toi, tu cours [inéluçtablement] à ton destin. Et comment, se répondit-il à lui-même, pourrais-tu te protéger contre ta propre monture ? ».

(1) ʿUmayr b. Šuwaym b. ʿAmr, poète du premier siècle de l'hégire, mort vers 101/720. V. E. I., II., 1232-33 art. de H. Brān.

(2) Coran, S. 8, V. 3.

avec une violence à laquelle tu ne pourras résister. Le courant est l'un des deux [phénomènes] imprévisibles ; ne sape-t-il pas même les endroits surélevés ? Je te supplie donc, pour toi et ta famille, de déménager de ce lieu et d'en choisir un autre.

— Tu es quelqu'un, répondit Ṭāriq, dont je ne suspecte ni le jugement ni les bons conseils ; je vais proposer à ma femme de déménager.

Sur le champ, il alla trouver sa femme et lui dit :

— O femme ! en nous fixant dans cette vallée nous avons commis une erreur qui aurait pu provoquer notre perte. Mais Dieu nous a envoyé notre ami Abū-l-Muġallas pour nous recommander de ne pas rester ici et nous mettre en garde contre le torrent à proximité duquel [nous vivons]. Mieux vaut prévenir que guérir, dit le proverbe(1). Rassemble donc tes effets pour déménager.

— Ce n'est pas là un bon conseil de la part de ton ami, répondit-elle. En voyant combien ta vie était aisée près de ton lieu de chasse et loin de tes ennemis, il a été pris d'envie. Nous sommes installé ici depuis des années et nous n'avons rien remarqué d'effrayant dans le torrent [qui y passe]. Notre terrier est [d'ailleurs] à l'écart de son lit. Cesse donc de penser à cela et ne t'en préoccupe plus.

Le renard revint auprès de Ṭāriq pour lui apprendre que sa femme refusait [de déménager], arguant de la prospérité de leur vie et de la sécurité dont ils n'avaient cessé [de jouir].

— O Abū-ṣ-Ṣabāḥ ! dit Ṭāriq, si tu n'écoutes pas mes conseils je me sens dégagé de toute responsabilité. La résolution, a-t-on dit, est [signe] de fermeté et l'irrésolution [signe] de faiblesse. Les femmes ne [doivent] pas avoir voix au chapitre. Ne te laisse pas entraîner par l'entêtement de ta femme dans une situation périlleuse pour toi. Pour t'en convaincre écoute ces vers de Ṭufayl al-Ġanawī (2) :

(1) litt. : Prendre les devants vaut mieux que d'avoir à subir le remords.

(2) Ṭufayl al-Ġanawī b. ʿAwf, poète arabe qui vécut dans la 2^{ème} moitié du VI^{ème} siècle, et mourut, semble-t-il, dans les 1^{ères} années du VII^{ème} siècle ; V. R. Blachère : Hist. de la litt. Arabe, II., 265.

J'ai ainsi écrit un livre, concis répondant aux désirs [du lecteur]. J'ai [voulu] en faire un livre fondamental pour le savant lettré et [l'homme] intelligent et habile [en y groupant] ce que j'ai appris et réussi à rassembler. C'est à Dieu que nous demandons aide, assistance, réussite et succès ; il n'y a de force si ce n'est en Dieu le très Haut et très Grand.

On raconte qu'un renard nommé Marzūq et ayant pour kunya Abu-ṣ-Ṣabāḥ avait élu domicile dans une vallée que n'habitait personne d'autre. Longtemps il connut le bien être [vivant] à l'abri des dangers et des soucis. Un renard de ses amis, répondant au nom de Ṭāriq et à la kunya d'Abū-l-Mağallās, vint à passer par là. [Marzūq] lui fit bon accueil et le traita généreusement.

— « O Abū-ṣ-Ṣabāḥ, lui dit Ṭāriq, tout est parfait chez toi et tout ce que tu fais révèle résolution et esprit judicieux. Cependant, je constate que tu as creusé ton terrier dans un mauvais endroit, car c'est juste l'endroit dont il faudrait s'écarter. »

— O Abū-l-Mağallās, répondit Marzūq, qu'a donc cet endroit pour me valoir blâme et reproche de ta part, toi dont je ne peux mettre en doute l'intelligence, ni suspecter les conseils que tu donnes à tes amis, et ton amitié n'est pas un nœud facile à dénouer. Je suis comme une corde que tu tiendrais dans ta main : le croyant n'est-il pas un miroir pour son frère et 'Umar b. 'Abd al 'Azīz (1) n'a-t-il pas dit :

« Que Dieu accorde sa miséricorde à celui qui nous montre nos défauts »

— Ton frère, répondit Ṭāriq, est celui qui est sincère avec toi ; celui qui te veut du bien est toujours enclin à la méfiance. Je te vois au milieu d'une immense vallée où le courant a laissé les traces que tu vois, et tu ne sais ce qui pourrait arriver. J'ai peur que [l'eau] ne te surprenne la nuit

(1) 8ème Calife Umayyade, né en 63/682-83 et mort en 101/720. V. E. I., III., 1044-1046. art. de K. V. Zetterstéen.

Au nom de Dieu le Clément Miséricordieux ; que Dieu bénisse notre Seigneur Muḥammad, sa famille et ses compagnons et qu'Il leur accorde le salut.

Sahl b. Hārūn le Secrétaire — que Dieu lui accorde sa miséricorde — a dit :

Louanges à Dieu qui a créé les hommes [de telle sorte] qu'ils connaissent [son existence], fait que les langues soient incapables [de se rendre compte] de sa puissance, empêché les êtres de connaître ses qualités, créé les anges [à partir de la] lumière, constitué les humains selon les phases décidées par lui, mis en place les signes du Zodiaque, fait tourner les planètes et créé la nuit et le jour. Que son [Nom] soit béni Lui qui se manifeste dans son royaume, [Lui] le Maître qui gouverne les créatures ; qu'Il soit exalté [Lui] qui vit éternellement et qui ne saurait mourrir ; qu'Il soit glorifié [Lui] le Tout-puissant et l'Être suprême auquel les créatures les plus petites ne sauraient être cachées ni par la nuit obscure, ni par le ciel aux signes [multiples], ni les terrains crevassés, ni les mers houleuses, ni l'opacité des ténèbres. Il connaît ce qui est caché, ce qui est plus mystérieux encore et ce qui est moins secret. J'atteste que Dieu est unique et qu'il n'a point d'associé ; pour Lui les voix ne sauraient se confondre entre elles [en dépit] des diverses langues et Il connaît ce qu'il y a au fond [des choses] les plus secrètes. J'atteste aussi que notre Seigneur Muḥammad est sa créature et son prophète par l'intermédiaire duquel Il a dissipé les ténèbres, parachevé toute [chose], clarifié le sens [de ses enseignements], administré la preuve des missions, achevé les prophéties et inauguré les bonnes œuvres, en l'envoyant comme prophète qui guide vers le bien, invite les hommes à l'adorer et établit la preuve de son existence et de sa présence ; que Dieu le bénisse ainsi que sa famille et ses compagnons et qu'il leur accorde le salut.

Or donc, j'ai jugé utile, que Dieu t'accorde son assistance et te protège par [un effet] de son aide, de composer à ton intention un livre touchant aux belles lettres, à l'éloquence et à l'art épistolaire, [et traitant] de la guerre, des stratagèmes, des proverbes, de l'homme de science et de l'ignorant, et d'ajouter à ces [sujets] des exhortations et des préceptes moraux variés.

رقع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

KITAB AN-NAMIR WA-T-TALAB

Traduction Française

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

والبحر من ذوقه وحسابه والمشرق من ذوقه الأفتنان
 قال يصعب في الشعر والزنوب قال نوع النما كثر من ان هو دى
 شكراً على الأمان عن عليه وقد نوحوا ابراهيم الخليل من ان يسلم
 منها الامام عن محمد قال يستأنسون الدقيقه احسن قال اذا
 كانت عينه في حسد او دين قال ما يصيب النضر قال الازلي
 يتكلمه العذرا الراجح بهوبه الحظا سايل او يارح قال يما
 يترى الرجا قال ما كثر منه قال ايضا قريب بهيبة الرجل
 ناله كثره محكم قال ما كثره من استغفار به قال
 كثره من اخير فاحه ابراهيم يستغفار منطوقه قال خيرة كثره
 وبنا وما كثره ذلالتة قال فلة ميايد قالو ما في ملة حياية
 قال مود قلبه قالو ما مود قلبه قال رقة د بينه قال باين
 موضع الكافاة بل السلامه قال مرضه السلامه بل السلامه
 قال باين عافيت البرامة قال في كثره الكلام ودهة قال الخاتم
 يرد البنا و عشرة من لسانه ويسوي في المرء من عشرة الزجل
 بعضه بالنوا فرجى براسه و عشرة من يانم بل تيمر اعلى جعل
 قال شعر الجوار بالقطبية قال المرء من الجاد قال طيب يتمر
 العظيم قال في نور الميضية والبيد نتم السعوتة فلا على
 من الرنة قال يبايصة ودهة قال لا تترى مع له اذا
 حسب البير و يذوقه بالاسم او يروعه باحب السمنة اليه
 ما اذ يراى اليه قال انتظر اليه فلا كعب الرنمية
 بعين ذلالتها صرعى نافع لا فاعيب البير من صفة
 من كثره سوراه من حسن عقله و حبه منطوقه واليا كثره
 ونور رايد و ثوبه حياية حمار له حياية بسايد و اوى
 باح لربنا الحمار في حواير و يرب داره بداره في تباير
 اورد و اما ان سده و يهرم راج و مشورته الازلي كثره
 البير و كثره من البير

السلامة
السلامة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

Pour toutes ces raisons, l'établissement du texte à partir de ce manuscrit unique a soulevé pour nous des problèmes nombreux et, parfois, d'autant plus insurmontables que les citations empruntées à l'ouvrage en question sont, pour ainsi dire, inexistantes. Il ne nous a été possible de comparer le texte manuscrit avec des ouvrages tels que le *Majma' al-Amṭāl* ou le *'lqā al-Farīd*, que pour les proverbes, ce qui nous a, d'ailleurs, permis de surmonter de nombreuses difficultés et de mesurer la gravité de certaines déformations dues au copiste. Dans la plupart des cas, nous nous sommes donc vus dans l'obligation de deviner le mot ou l'expression susceptible de convenir au sens de la phrase. Et malgré tous nos efforts, nous avons été obligés à six reprises, au moins, de reproduire un passage incompréhensible, en le mettant entre parenthèses.

Nous tenons, ici, à exprimer toute notre gratitude à Monsieur le Professeur Charles Pellat qui nous a encouragé à entreprendre ce travail et a bien voulu en accepter la direction et qui ne nous a pas ménagé ses conseils, nous permettant ainsi de ne pas nous laisser gagner par le désespoir devant des difficultés parfois insurmontables. Nous remercions aussi notre ami M. Burési qui a bien voulu revoir la traduction que nous avons faite du livre de Sahl b. Harun, ainsi que nos amis T. Nagra, M. Tarchouna pour les suggestions qu'ils nous ont faites en vue de l'amélioration de certaines lectures.

LE MANUSCRIT

Le manuscrit que nous avons découvert à la Bibliothèque ‘Ibdilliyya de Tunis et qui porte le numéro 288 R n’appartient pas au fonds initial de cette bibliothèque. Il vient d’un fonds acquis par celle-ci en 1956 et appelé fonds du Ṣayḥ Raḍwān. Il fait partie d’un recueil comprenant deux autres ouvrages. C’est, sans doute pour ces deux raisons, qu’il est resté longtemps inconnu.

Le manuscrit, assez bien conservé, ne comporte ni date ni nom de copiste. Il se compose de vingt et un feuillets (1). Sur le recto du premier feuillet figure, en guise de titre, cette expression « *Kitāb Sahl b. Hārūn* » (Livre de Sahl b. Hārūn). L’écriture, maladroite, en est différente de celle de l’ensemble de l’ouvrage. Le nombre des lignes sur chaque page varie entre vingt-deux et vingt-sept. L’écriture en est maghrébine et semble, au premier abord, assez nette. Mais une lecture attentive révèle de nombreuses ambiguïtés. Très souvent, en effet, le copiste semble se contenter d’imiter l’original sans être sûr de ce qu’il reproduit, ce qui rend le déchiffrement malaisé, et parfois impossible. En deux ou trois endroits, le texte comporte manifestement des lacunes qui, toutefois, ne semblent porter que sur quelques mots ou, tout au plus, une ou deux phrases.

Par ailleurs, le copiste semble ignorer les règles les plus élémentaires de la grammaire et de l’orthographe arabes, et notamment l’orthographe du tā^c, du ḍād et du zā^c, de la voyelle ā... Les points diacritiques sont, souvent, répartis à tort et à travers, ce qui aggrave encore plus les difficultés de la lecture.

(1) Selon une indication figurant sur le recto du premier folio, le manuscrit aurait compté 44 feuillets (*waraqā*). Mais, il faut, à notre sens, considérer que « *waraqā* » veut dire ici « page ». Par ailleurs, le chiffre 44 est, à notre avis, erroné, puisque rien ne prouve que le manuscrit est incomplet.

être invoquées pour prouver le succès de la fable dans la littérature arabe. Mais en fait, la fable est-elle un genre qu'on peut, aisément, rénover, qu'on peut, facilement, affranchir de l'orientation qui lui a été imprimée, auparavant, par un écrivain de génie ?

de telle sorte qu'elles reflètent, si l'on peut dire, les thèmes intellectualisés qu'elles véhiculent. Elles ne sont pas sans rappeler alors les structures utilisées par Jāhīz lorsqu'il expose une idée ou défend un point de vue. Mais c'est probablement dans la correspondance, par laquelle il a fait communiquer entre eux la panthère et le loup, que le style de Sahl b. Hārūn est le plus typique. Ici il y a une recherche incontestable de l'expressivité. Les moyens utilisés par l'auteur sont assez variés. C'est, tout d'abord, l'utilisation de la période, notamment au début et à la fin de chaque épître pour exprimer la plupart du temps le reproche ou la menace sur un ton qui rappelle, souvent, celui de l'art oratoire. C'est, d'autre part, l'accumulation d'expressions ou de phrases courtes pour exprimer la même idée, ce qui aboutit à faire de la répétition un véritable moyen stylistique. L'effet, ici, est obtenu en outre par l'utilisation de la rime ou, à défaut de celle-ci, des ressources de l'assonance. C'est aussi le choix du vocabulaire caractérisé ici par une grande richesse et un désir souvent perceptible d'éviter le terme trop fréquent et de recourir au mot qui frappe. C'est enfin la métaphore qui n'est pas peu fréquente dans ces épîtres et qui permet d'exprimer, par des images concrètes, des notions telles que la générosité, la gratitude, la vanité, la témérité etc... En bref, nous avons ici presque tous les éléments de la prose artistique dont on peut considérer Sahl b. Hārūn comme l'un des promoteurs les plus importants.

Ainsi, en s'inspirant du patrimoine légué aux Arabes par Ibn al-Muqaffa', Sahl b. Hārūn a essayé d'acclimater un genre aux conditions culturelles de la société arabo-musulmane. Les données relevant de la fable qui, selon l'expression de Boileau, « offre à l'esprit mille agréments divers », tendent de plus en plus, chez lui, à s'amenuiser au profit des règles de conduite, de préceptes moraux et des sentences. La fable devient, en outre, beaucoup plus qu'un récit allégorique servant à étayer une règle morale, un cadre qui permet à l'auteur d'étaler ses connaissances et de prouver sa virtuosité dans l'art d'écrire. Du coup les caractéristiques les plus originales du genre se perdent, si l'on peut dire. Par son imitation de *Kalīla wa Dimna*, Sahl b. Hārūn n'a pas réussi à adapter ce genre pour le rendre viable. Les œuvres à caractère didactiques qui seront composées plus tard par des écrivains comme Ibn al-Habbāriyya ou Ibn Zafar (1) ne peuvent

(1) V. Art. Ḥayawān, in E. I., n. édit. vol. III., 318-319.

les deux la différence [est aussi grande] que celle entre les anges et les enfants des gardes. [Mais] c'est là une grande injustice qu'on fait subir à Sahl et il est équitable de dire qu'ils ont, tous les deux, [réussi] à bien faire. Cependant Sahl était secrétaire [auprès] des monarques, alors que Jāhīz était un auteur de recueils. L'examen permet, sans doute, [de constater] qu'ils avaient des méthodes différentes ; mais chacun a réussi dans son domaine... » (1).

Quoiqu'il en soit, il nous semble exagéré de ne pas reconnaître le rôle joué par Sahl b. Hārūn dans l'évolution de la prose littéraire. S'il a été « finalement éclipsé » par Jāhīz, ce dernier a bien compris la part qui est due à son prédécesseur (2). Mais juger le style de Sahl d'après le *Kitāb an-Namir wa-l-Ta'lab* ne doit pas se faire sans certaines précautions. Il faut, en effet, laisser de côté tout ce qui, dans cet ouvrage, est emprunté aux autres. C'est le cas de certains paragraphes qui constituent une simple démarcation de *Kalīla wa Dimna*. C'est le cas aussi de ces sentences, nombreuses dans la deuxième moitié de la fable qui constituent, en quelque sorte, des réponses toute faites à des questions que l'auteur n'arrive pas toujours à bien adapter. Une fois ces réserves faites, il reste suffisamment de pages pour essayer de donner une idée du style de Sahl b. Hārūn dans l'ouvrage dont nous nous occupons.

La phrase de notre auteur n'a pas les mêmes caractéristiques dans tout l'ouvrage. Elle varie en fonction du sujet traité. Dans la narration la structure en est simple, l'ordre des termes est normal et le vocabulaire est courant. Nous retrouvons ici la même simplicité que celle qui caractérise la langue d'Ibn al-Muqaffa' dans presque tous les récits de *Kalīla wa Dimna*.

Mais en dehors des passages narratifs qui, en réalité, occupent une place réduite dans la fable, la phrase devient plus complexe, plus travaillée. Elle est alors plus longue, se charge de nombreuses incidentes et acquiert souvent l'ampleur d'une véritable période. Ainsi dans les passages où le renard répond aux trois ministres, les phrases sont complexes et s'articulent

(1) *Ḍahīra.*, I., 208.

(2) R. Blachère : « Moments » tournants dans la littérature arabe, in *Studia Islamica*, XXIV, p. 8.

En définitive, l'auteur ne porte aucun intérêt particulier aux personnages de sa fable. Aucun trait pittoresque, aucune description précise ne prouve chez lui une curiosité particulière pour le monde animale. Encore moins que dans *Kalīla wa Dimna* où le choix de certains vocables ou de certaines expressions évoque ce monde de temps à autre, presque rien, dans l'ouvrage qui nous occupe, ne permet de créer une atmosphère caractéristique du règne animal. Ce n'est donc pas Sahl b. Hārūn qui nous permet de trouver dans la littérature arabe un auteur qui rappellerait La Fontaine. Avec lui, l'intérêt du récit se porte uniquement sur les considérations d'ordre morale, les proverbes et les sentences. Et l'auteur d'un ouvrage sur les sentences de *Kalīla wa Dimna* ne se trompe presque pas lorsqu'il dit de Sahl b. Hārūn :

« Sahl b. Hārūn b. Rāhibūn... a suivi la voie [tracée par Ibn al Muqaffa'] en reproduisant les proverbes arabes par l'intermédiaire de la panthère, du renard et du loup, dans son livre intitulé *an-Namir wa-ṭ-Ṭa'lab* et celui intitulé *Ṭa'lat wa 'Afra'* » (1).

En somme, le *K. an-Namir wa-ṭ-Ṭa'lab* est, à notre avis, une sorte de synthèse mettant en œuvre le genre représenté par *Kalīla wa Dimna*, les « sentences gnomiques » du patrimoine arabe et l'art épistolaire qui a acquis droit de cité depuis les épîtres de Abd-ul-Ḥamīd al-Kātib. Sahl b. Hārūn nous semble ainsi assurer la transition entre « l'adab d'origine Sassanide » tel qu'il a été « mis en honneur par Ibn al-Muqaffa' » et l'adab « arabo-islamique » tel qu'il se définit d'après l'œuvre de Jāḥiẓ (2). C'est, probablement pour cette raison, que son œuvre n'a pas eu la même fortune que celle de ces deux écrivains, ni bénéficié des mêmes circonstances favorables qui ont assuré la perennité aux plus importants de leurs écrits. Considéré par les uns comme un simple imitateur d'Ibn al-Muqaffa', il est, pour les autres, loin de posséder la virtuosité de Jāḥiẓ.

« Sahl b. Hārūn et Jāḥiẓ, dit Ibn Šuhayd, ont été un jour évoqués chez Abu-l-Qāsim. On a alors cité à leur sujet le proverbe populaire : entre

(1) A. A. Md. b. al-Ḥusayn al Yamanī : *Kitāb Muḍāḥāt amṭāl K. Kalīla wa Dimna bimā ašbahahā min aš'ār al-'arab* p. 7-8.

(2) Sur l'évolution de l'adāb V. Ch. Pellat : *La Prose Arabe à Bagdad* ; in *Arabica*, Vol. spécial publié à l'occasion du 1200^e Anniversaire de la Fondation de Bagdād p. 407-411.

comme dans *Kalīla wa Dimna* que des types humains. Le loup représente l'ingratitude et la félonie : c'est le type de l'homme qui manque d'initiative et mène, dans la gêne, une vie obscure ; mais si le hasard lui permet de s'affranchir de sa misère, il a vite fait d'oublier sa condition antérieure et de croire qu'il doit sa nouvelle situation à son seul mérite. Alors, surestimant ses forces et s'entêtant dans son entreprise, il n'hésite pas à se mesurer à ceux qui sont beaucoup plus puissants que lui.

Le renard symbolise l'homme intelligent, cultivé, et plein de ressources. Il réussit à se tirer des situations les plus dangereuses. Grâce à son réalisme et à son honnêteté, il est de bon conseil. Il ne demande qu'à rendre service, mais il n'hésite pas à avertir son interlocuteur des dangers qu'il court et à tenter de lui faire prendre conscience de ses limites. Le renard réunit, en somme, les qualités des deux personnages symbolisés, dans l'œuvre traduite par Ibn al-Muqaffa^c, par *Kalīla et Dimna*.

Du premier, il a l'intelligence et l'esprit d'initiative, mais pas la fourberie ; du deuxième, il a l'honnêteté et la fidélité, mais pas la passivité. Et c'est, sans aucun doute, le personnage le plus important de la fable puisqu'il parle plus que les autres et que c'est par son intermédiaire que s'expriment le bon sens et la logique.

La panthère représente le pouvoir. C'est le type du monarque pausé et conscient de ses devoirs, qui est disposé à accorder le préjugé favorable aux serviteurs apparemment dévoués, mais qui n'hésite pas à châtier ceux qui abusent de sa confiance. C'est le symbole du prince qui ne néglige pas l'avis de ses conseillers et qui n'agit qu'après avoir écouté les opinions exprimées par ces derniers. Le pouvoir est ici représenté sous son jour le plus avantageux.

Les autres personnages de la fable jouent un rôle insignifiant. Si la femelle du renard, son ami et les deux généraux vaincus par le loup sont représentés par des animaux, les trois ministres sont en quelque sorte anonymes. L'auteur les désigne par des numéros lorsqu'arrive leur tour de parler. Rien ne permet de les différencier, même pas les numéros que l'auteur leur donne, puisque le même numéro ne semble pas toujours désigner le même ministre.

dans l'ouvrage. Dans cette correspondance, la personnalité du secrétaire apparaît mieux que partout ailleurs, avec sa prédilection pour une prose où la rime est fréquente, où les images abondent et où la recherche d'un certain rythme est manifeste.

En ce qui concerne l'intrigue, on peut se demander dans quelle mesure, l'auteur s'est inspiré de certaines circonstances historiques. Certes, il ne fait aucune allusion qui puisse nous permettre de répondre avec certitude à cette question. Il ne nous semble pas faire de doute, non plus, que le but le plus important de l'auteur n'est pas de transposer les événements politiques. Mais on ne peut s'empêcher de faire des rapprochements entre le personnage du loup et ceux de certains gouverneurs qui, à l'époque abbasside, se sont rebellés contre le pouvoir central (1).

On ne peut s'empêcher non plus d'évoquer, à la lecture de certains passages du *K. an-Namir wa-l-Ṭa'lab*, le chapitre consacré dans le *Kitāb al-ʿIqd al-Farīd* au conseil tenu par le calife al-Mahdī (m. en 169 / 785) pour décider de l'attitude à adopter face à la rébellion des habitants du Ḥurāsān (2). La ressemblance est particulièrement frappante entre la façon de procéder du calife en présence de ses conseillers et celle du roi-panthère lorsqu'il demande conseil à ses ministres sur l'attitude à adopter vis-à-vis du loup ou du renard. Dans les deux cas les divers conseils prodigués au prince reflètent des attitudes divergentes. Les uns conseillent la douceur et mettent le prince en garde contre les conséquences d'une attitude rigide ; les autres essaient de montrer les avantages de la ruse ; d'autres enfin poussent à la guerre, estimant que le fait de ne pas réprimer la rébellion par les armes risque d'être considéré comme un signe de faiblesse.

Il est donc permis de supposer que certains événements historiques ont aidé Sahl b. Hārūn à imaginer les grandes lignes de l'action sur laquelle il a fondé son ouvrage.

Mais nous ne voulons pas dire, par là, que les animaux représentent, dans la fable, tel ou tel personnage historique. Bien au contraire, ce ne sont,

(1) V. par ex. Murūj., III., 302.

(2) ʿIqd., I., 191-212.

ou absolue, si l'individu est vraiment responsable des choix qu'il peut être amené à faire. A cet égard, il nous faut signaler un passage où l'auteur, passant en revue les différentes vertus, essaie de montrer quelles sont les limites qu'il faut respecter pour éviter les excès, définissant ainsi une morale du juste milieu (1).

D'autres idées sont exprimées qui ne sont pas sans évoquer les règles de conduite et les sentences qu'on entendait de la bouche des mystiques qui étaient fort nombreux dans une ville comme Baṣra (2). Ces idées se rapportent au mépris de ce bas-monde et de la richesse, à la crainte de Dieu, à la mort, à la résignation...

Tout cela prouve que si le *Kitāb an-Namir wa-ḡ-Ta'lab* est tributaire dans une grande mesure de *Kalīla wa Dimna*, il n'exprime pas moins des préoccupations morales et intellectuelles caractéristiques de l'époque de Sahl b. Hārūn. Le genre vulgarisé grâce à l'œuvre traduite par Ibn al-Muqaffa' a subi dans le livre de Sahl l'empreinte de la société arabo-musulmane de l'époque. Ce dernier a, en effet, intégré dans sa fable de nombreux éléments de la culture arabe. Les personnages emploient fréquemment des expressions empruntées au Coran ; ils n'hésitent pas, non plus, à citer un ou plusieurs vers pour étayer une idée ou appuyer un conseil ; les proverbes qu'ils manient se comptent par dizaines.

Par ailleurs, l'auteur qui a probablement occupé, auprès de Hārūn ar-Rašīd et des Barmakides, les fonctions de secrétaire, fait appel aux ressources de l'art épistolaire dans la première partie de son livre. C'est, à notre connaissance, la première fois que cet art est mis au service d'un autre genre littéraire dans la littérature arabe. En plus du fait qu'il permet ici au roi et au nouveau gouverneur de communiquer et, par suite, à l'action d'avancer, il constitue un cadre propice pour la promesse et la menace, la flatterie et les répliques insolentes. Il permet ainsi de rendre compte, de la meilleure façon possible, de l'évolution des relations entre ces deux personnages. Les huit lettres que la fable contient représentent, avec l'intrigue, les éléments qui peuvent être considérés comme ce qu'il y a de plus original

(1) V. p. 68-69.

(2) Voir Ch. Pellat : Le milieu basrien et la formation de *Jāhīz* p. 93 et suiv.

tentent d'exprimer les idées d'une façon abstraite. Pas une seule fois, ils ne les illustrent par le moyen de petits contes semblables à ceux qui, très fréquemment, interrompent, dans *Kalila wa Dimna*, l'enchaînement du dialogue. S'il en résulte, pour le récit, une unité plus solide, ce dernier n'a pas, en revanche, la richesse qui caractérise les récits d'Ibn al-Muqaffāʿ.

Par ailleurs, le plan du *K. an-Namir wa-t-Ta'lab* manque d'équilibre. L'intrigue se déroule entièrement dans la première moitié de l'ouvrage. Le naufrage du renard, son arrivée sur le rivage d'une île apparemment déserte, sa rencontre avec le loup, la réalisation du plan mis au point par les deux compères pour permettre à celui-ci d'obtenir du roi-panthère la charge d'une province, la trahison du nouveau « gouverneur » et les différentes batailles que lui livre la panthère pour le punir, tout cela constitue le sujet de la première moitié et se termine par la mort du loup. La deuxième moitié n'est qu'un long dialogue, voire une sorte d'interrogatoire auquel le roi et ses ministres soumettent le renard pour s'assurer de sa présence d'esprit et voir s'il mérite la clémence et la faveur du prince. La décision de celui-ci de grâcier le renard et de lui ouvrir sa porte vient certes nous rappeler, à la fin de l'ouvrage, le début du récit. Mais quand elle intervient, le lecteur avait presque oublié qu'il avait entre les mains un conte ou un récit comportant une intrigue. L'auteur veut manifestement faire figurer dans cette deuxième moitié le maximum de sentences, de préceptes que « l'honnête homme » doit respecter dans sa conduite. Toutes les considérations qui n'ont pu être intégrées dans la première partie, parce que le déroulement de l'action ne permettait pas de le faire, ont pu l'être ici. Les questions posées au renard se rapportent en effet à des sujets très divers. Celui qui pose les questions ne se sent pas tenu de suivre une idée directrice. Seul le souci d'avoir le maximum de renseignements sur l'intelligence et la présence d'esprit du renard le guide. Et si les idées exprimées dans le dialogue entre le renard et le loup ne sont pas sans rappeler certains passages de *Kalila wa Dimna* ou les paroles attribuées, dans les ouvrages d'adab, aux sages et philosophes hindous ou persans, celles qui sont formulées en réponse aux questions du roi et de ses trois ministres reflètent, dans de nombreux cas, les sujets qui étaient débattus dans les cercles multiples qui réunissaient les lettrés généralement autour d'un personnage important ou d'un savant de renom. C'est ainsi que certaines questions qui ont une résonance philosophique sont abordées, telles que le fait de savoir si la raison est innée ou accidentelle, si la langue permet d'exprimer les notions d'une façon relative

gements et agit en maître absolu. Le roi essaya de le rappeler à l'ordre et une correspondance s'établit entre eux. Les réponses du gouverneur, d'abord empreintes de respect et d'humilité, finirent par exprimer la rébellion. La panthère lança alors contre lui des expéditions punitives et parvint à le tuer. Le renard, conseiller du rebelle, faillit subir le même sort, n'eût été sa présence d'esprit qui lui permit de se tirer d'affaire. Il réussit ainsi à gagner la sympathie du roi à la suite d'une discussion sur divers sujets d'ordre moral.

Il s'agit donc d'une sorte de fable qui se rattache à ce genre que la traduction de *Kalīla wa Dimna* par Ibn al-Muqaffa¹ révéla aux Arabes et remit en honneur à l'intention d'un public arabisé ou en voie d'arabisation. Sahl b. Hārūn, s'est, ici incontestablement, inspiré de l'œuvre traduite par son prédécesseur. A celle-ci, il a non seulement emprunté le genre, les thèmes et la finalité, mais aussi parfois des passages tout entiers (1). Le *K. an-Namir wa-t-Ta'lab* est donc, comme les différents chapitres de *Kalīla wa Dimna*, une sorte de conte dont les personnages sont représentés par des animaux. L'intrigue, très simple pour ne pas dire simpliste, a pour but de placer les personnages dans des situations telles qu'elles leur permettent d'exprimer un certain nombre d'idées générales sur les préoccupations humaines. L'auteur traite ainsi, plus ou moins longuement, de l'amitié, des femmes, de la mort, des moyens qu'il faut utiliser pour subsister, de l'argent, du pouvoir, de l'ingratitude, de la félonie, de la guerre, de l'intelligence, de la science, du bon sens et de la sottise et d'une façon générale de toute sorte de vertus et de vices. Ces thèmes sont ceux-là mêmes qu'on trouve non seulement dans *Kalīla wa Dimna* mais aussi dans le *K. al-'Adab aṣ-Ṣagīr* et le *K. al-'Adab al-Kabīr*. C'est dire à quel point Sahl b. Hārūn reste tributaire d'Ibn al-Muqaffa¹.

Cependant, il faut remarquer que Sahl n'a pas visé ou réussi à imiter servilement son modèle. Des différences existent qui indiquent une certaine évolution du genre. La première particularité qui attire l'attention c'est la simplicité du plan. Contrairement au plan d'une fable comme *Le Lion et le bœuf*, celui du *Kitāb an-Namir wa-t-Ta'lab* se caractérise, pour ainsi dire, par sa construction linéaire. Dans leurs dialogues, les personnages se con-

(1) Nous en avons signalé les plus importants dans l'édition du texte arabe.

été conservés (1). Si les auteurs qui les reproduisent n'indiquent pas à quel ouvrage ils ont été empruntés, le fait qu'ils figurent dans le manuscrit en question constitue une garantie importante.

Par ailleurs, celui-ci contient, comme nous le verrons, les lettres échangées entre la Panthère et le Loup, lettres auxquelles Ibn Šaraf fait allusion en disant :

« Le secrétaire Sahl Ibn Hārūn a utilisé le même procédé de [composition] dans le *Livre de la Panthère et du Renard* dont les anecdotes sont fameuses et où les correspondances [échangées dans un style] fleuri sont pleines de sel » (2).

Enfin, dans son *K. Muḍāhāt amṭāl K. Kalīla wa Dimna*, Yamānī indique que Sahl b. Hārūn a intégré dans son livre des proverbes arabes en les faisant citer par « la Panthère, le Renard et le Loup », indiquant ainsi les trois personnages les plus importants de la fable qui figure dans notre manuscrit (3).

Tout cela concorde donc pour nous permettre d'affirmer que nous avons bien entre les mains le *Kitāb an-Namir wa-t-Ṭa'lab* du directeur du Bayt al-Ḥikma.

Quel est maintenant le sujet de cet ouvrage ? Dans une île, les animaux vivaient sous la domination d'une panthère jalouse de son autorité et accaparant toutes les richesses. Un renard chassé de son terrier par le torrent, fut jeté par la mer sur les rives de l'île. La rencontre d'un loup famélique lui permit d'être au courant de la situation. Sur ses conseils, ce dernier sollicita et obtint du roi sa nomination comme gouverneur d'une province, moyennant le paiement d'un tribut. Une fois dans son fief, il oublia ses enga-

(1) Le premier a été cité par Ibn al-Muʿtazz : v. K. al Badīʿ, 45-46 et ʿAskarī : v. K. aṣ-Šināʿatayn, 310 ; les trois autres sont cités par Kurd ʿAlī : v. ʿUmarāʾ ul-Bayān, I., 179-180 ; Kurd ʿAlī n'indique pas les sources où il a puisé ces citations et, malgré de longues recherches, nous n'avons pu malheureusement déterminer ces sources ; mais le fait qu'elles soient attribuées à Sahl constitue, en lui-même, une caution suffisante.

(2) Masā'il al-Intiqād, p. 4 ; trad. Ch. Pellat ; nous nous sommes, toutefois, permis de remplacer « tigre » par « panthère ».

(3) p. 7 - 8.

va dans le même sens, sur le plan de la chronologie, que celui fourni par Mas'ūdī qui indique que cet ouvrage a été composé à l'intention du Calife al-Ma'mūn (1). L'idée d'écrire des fables serait ainsi venue au directeur du Bayt al-Ḥikma sous le règne de ce calife. Mais, en vérité, Sahl n'avait pas besoin d'attendre si longtemps pour se familiariser avec ce genre littéraire. La traduction d'Ibn al-Muqaffa' était déjà connue depuis longtemps et notre auteur a dû en prendre connaissance lors de son séjour à Baṣra. Selon nous, Sahl b. Hārūn a composé le *K. an-Namir wa-ṭ-Ṭa'lab* avant la chute des Barmakides en 187/802-3. L'on sait, en effet, que Yaḥyā al-Barmakī appréciait beaucoup *Kalīla wa Dimna*. C'est à sa demande que le poète Abān b. 'Abd-ul-Ḥamīd al-Lāḥiqī mit cette œuvre en vers. Il n'est donc pas impossible que Sahl ait composé l'ouvrage qui nous occupe à l'intention du vizir de Hārūn ar-Rašīd ou d'un des membres de sa famille.

Sans doute, si l'on considère que les animaux de la fable représentent des personnages historiques et que le sort du renard, par exemple, n'est pas sans rappeler celui de Sahl lui-même qui a eu la vie sauve après la chute des Barmakides (2), on doit admettre que cette fable n'a pu être écrite avant 187. Toutefois, cela ne milite pas en faveur des indications fournies par Ibn Nubāta, car l'auteur a pu l'avoir composée à l'intention d'ar-Rašīd pour essayer de consolider sa position auprès de lui (3). Sans fournir une réponse certaine à la question posée, nous pensons que le *K. an-Namir wa-ṭ-Ṭa'lab* a pu voir le jour au plus tard avant 193/808-9, date de la mort de Hārūn ar-Rašīd. Cette hypothèse est d'autant plus vraisemblable que le genre auquel appartient l'ouvrage nous semble mieux convenir à l'époque des Barmakides qu'à celle d'al-Ma'mūn, qui est plus marquée par le rationalisme mu'tazilite.

Mais, avant d'aller plus loin, il nous faut prouver l'authenticité de l'ouvrage découvert à Tunis. Cette authenticité ne nous paraît faire aucun doute, malgré l'absence d'autres manuscrits et l'ignorance où nous nous trouvons de l'art de Sahl b. Hārūn. En effet, quatre fragments nous en on

(1) Murūi., I, 80.

(2) ٢٤١٢ : Awrāq, 1-2. Yaḥya aurait obligé même Abān de ne pas quitter sa maison avant de terminer ce travail.

(3) 'Iqd., V., 58 et suiv.

LE KITAB AN-NAMIR WA-t-TA·LAB

On s'accorde en effet à attribuer à Sahl b. Hārūn un ouvrage portant ce titre. Si Jāḥiẓ ne le mentionne pas parmi les quatre ouvrages qu'il lui attribue (1) il n'y a aucune raison de douter des renseignements fournis par Ibn an-Nadīm (2), Ibn Šaraf (3), Yāqūt (4), Yamanī (5) et Šafadī (6). Le fait que Sahl était connu comme un conteur qui mettait en scène, dans ses récits, les animaux constitue, si besoin est, une garantie supplémentaire. Certains supposent qu'il ne s'agit que d'une partie du *Kitāb Ta'lat wa 'frā'* qui, d'après les dires de Mas'ūdi, était divisé en chapitres tout comme *Kalīla wa Dimna* (7). Mais on ne comprendrait pas alors pour quelle raison tous ceux qui l'ont mentionné en ont parlé comme d'un livre à part. Il n'y a, selon nous, aucune raison de s'arrêter à une pareille supposition, d'autant plus que l'auteur introduit son livre d'une façon impliquant qu'il s'agit d'un récit indépendant.

Mais à quelle époque Sahl a-t-il écrit ce livre ? Il n'est pas aisé de déterminer la date de sa composition, surtout quand on sait les difficultés insurmontables que soulève la biographie de l'auteur. Mais il n'est pas sans intérêt de soulever le problème, même si l'on n'est pas assuré d'aboutir à une solution satisfaisante. Si l'on s'en tient aux affirmations d'Ibn Nubāta, ce serait après avoir été nommé directeur du Bayt al-Ḥikma et pris connaissance des œuvres qui s'y trouvaient que Sahl en prit certains comme modèles pour composer des livres comme *K. 'Afrā' wa Ta'la* (8). Ce renseignement

(1) Bayān., I., 52.

(2) p. 180.

(3) Masā'il al 'Intiqād, 4.

(4) Irš., XI., 267.

(5) Muḍāḥāt, 3, 7 - 8.

(6) XIV, f° 6 r°.

(7) Murūj, I., 80.

(8) Šarḥ., 152.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

idée exacte de son talent. Jusqu'à ces dernières années, le plus long texte qui ait été conservé parmi ceux attribués au directeur du Bayt al-Ḥikma était la célèbre épître sur l'avarice que Jahīz a fait figurer au début de son *K. al-Buḥalā'* (1). Mais même si l'on admet l'authenticité de cette épître — ce que certains contestent (2) —, son sujet, un peu particulier, ne nous permet pas de la considérer comme vraiment représentative des centres d'intérêt de notre auteur et des caractéristiques de sa prose.

Pour toutes ces raisons la découverte du *K. an-Namir wa-t-Ta'lab* que nous avons eu la chance de faire en 1964 est d'une importance capitale pour la contribution à la connaissance de Sahl b. Hārūn (3).

(1) 9 - 16.

(2) Ch. Pellat : *Le livre des avares* ; Ḥājrī : *Buḥalā'*, 268.

(3) V. Ḥawliyyāt al-Jāmi'a at-Tūnisīyya, I., 1964, 19-40.

Cette œuvre comporte une dizaine de titres (1). Mais la plupart de ces titres paraissent si étranges qu'il est impossible de faire des suppositions sur le contenu des ouvrages qu'ils désignent. Les variantes qu'on trouve d'une source à l'autre permet de douter de l'exactitude de la transmission. C'est le cas du *K. al-Ġazālayn*, du *K. Asad b. Asad*, du *K. Asbāsyūs fi-t-Tiḥād al-'Iḥwān* (2) 'du *K. ad-Darbayn* (3), et du *K. al-Wāmiq wa-l-'Aḍrā'*. A côté de ces titres, nous en trouvons, heureusement, d'autres qui sont assez explicites pour nous permettre de supposer qu'il s'agit d'ouvrage reflétant l'intérêt que porte Sahl aux problèmes du pouvoir et de la politique et à l'art épistolaire ; on peut citer ainsi le *K. Tadbīr al-Mulk wa-s-Siyāsa*, l'épître adressée à 'Isa b. Abān sur le qaḍā' et le *K. ar-Rasā'il*. Le *K. al-Huḡaliyya wa-l-Maḥzūmī* a un titre qui rappelle ceux que portent les livres traitant des sectes. Mais Ibn an-Nadīm qui le mentionne dans la liste des œuvres de Sahl, fait figurer parmi les récits relatifs « aux amoureux de la période anté-islamique et du début de l'Islam », un livre portant presque le même titre : *K. al-Maḥzūmī wa-l-Huḡaliyya* (4).

Il nous est possible aussi d'imaginer ce qu'a pu être un autre ouvrage le *K. Ṭa'lat wa' Afrā'* (5). Tous ceux qui ont parlé de Sahl s'accordent en effet, pour dire qu'il l'a composé en prenant pour modèle *Kalīla wa Dimna*. Il nous reste un petit fragment qui nous permet de nous faire une idée du ton que l'auteur y a adopté (6). L'ouvrage en question semble avoir eu une certaine ampleur puisque Mas'ūdī affirme que Sahl l'avait divisé selon le modèle de l'œuvre traduite par Ibn al-Maqaḡfa' (7).

Mais ni ces titres, ni les quelques fragments attribués à Sahl et qu'on trouve çà et là dans les ouvrages d'adab ne sont suffisants pour donner une

(1) V. notamment Fihrist, 180 ; Irš., XI., 267, Ṣafadī, XIV., f° 6 r°.

(2) Jāḥiẓ cite un livre intitulé : *K. al-'Iḥwān* ; v. Bayān I., 52. Ṣafadī donne : *Asānūs fi-t-Tiḥād al-'Iḥwān* ; idem.

(3) C'est probablement le même que celui appelé par Ṣafadī : *K. aḍ-Ḍars*.

(4) Fihrist 180 et 340 ; c'est d'ailleurs sous cette dernière forme qu'il est mentionné par Jāḥiẓ dans le Bayān, I., 5 ; Yaḡūt l'intitule : *K. al-Ḥanbaliyya wa-l-Maḥzūmī*, XI., 267.

(5) Ou 'Afrā' selon une autre orthographe ; v. Bayān, I., 68 ; Fihrist, 180, Ṣafadī, XXIV, f° 6 r° ; Ṣarḥ, 152 ; cette dernière source le cite sous le titre : 'Afrā' wa Ṭalat.

(6) Ḥuṣrī, II., 582.

(7) Murūj, I., 80.

Sous al-Ma'mūn le nom de Sahl b. Hārūn reste attaché à Bayt al-Ḥikma ou Ḥizānat al-Ḥikma, selon une autre appellation (1). Présenté au calife par al-Faḍl b. Sahl, il le « séduisit par son éloquence et son intelligence » et put, ainsi, obtenir la charge de diriger cette bibliothèque et, probablement aussi, sa bibliothèque privée (2). Mais ici non plus, nous ne connaissons pas le rôle précis qu'il joua auprès du calife. Il semble qu'il était un de ses familiers (3). Mais le fait que les historiens ne mentionnent pas sa mort parmi les événements de 215/830-31 peut-il être considéré comme une indication sur le peu d'importance des fonctions qu'il exerçait ? Ou bien ce silence est-il dû à l'incertitude de la date de sa mort (4).

Ainsi, il n'est pas exagéré de dire que presque rien ne peut être affirmé avec certitude au sujet de la vie de cet écrivain dont le talent littéraire est célébré par tout le monde, probablement, pour compenser l'absence de données précises le concernant.

Dans ce cas, comment faire crédit à cette tradition qui fait de lui un šu'ubite notoire, même si elle est reprise par presque tous ceux qui ont parlé de lui. S'il était vraiment l'un des šu'ubites les plus virulents, comment expliquer sa tendance à arabiser un genre de pure tradition iranienne ? (5). Comment expliquer l'engouement qu'avait Jāḥiẓ pour lui ? Comment justifier le portrait fort élogieux qu'Abū 'Uj̄mān a brossé de lui (6), portrait qui concorde d'ailleurs avec celui que nous a laissé un autre contemporain (7). Il y a incontestablement une sorte de mystère qui entoure cet écrivain, mystère que la perte de la presque totalité de son œuvre ne rend que plus profond.

(1) Fihrist, 180 ; Irš., XI., 266 ; Šafadī, XIV, f° 6 r° ; Yamanī, Muḍāḥāt, 7 ; Šarḥ, 152.

(2) Šafadī, idem.

(3) V. par ex. Bayān III., 304 ; 'Iqd., II., 137 ; Ḥuṣrī, II., 51.

(4) V. Irš., XI., 267. Deux dates sont avancées : 215/830-31 (V. Yājī : op. cité) et 245 (V. Pellat : Questions de critique littéraire, 112) ; l'éditeur du Zahr al-Adāb indique même que Sahl est mort en 173/789-90 (V. Zahr, I., 119 note 1).

(5) V. plus loin p. 20.

(6) Bayān, I., 103.

(7) V. Abū Ḥayyān al-Tawḥīdī : Risāla fi-ṣ-Ṣadāqa wa-ṣ-Ṣadīq, 121.

Les rares renseignements dont nous disposons intéressent sa vie à Bagdad où il s'est rendu, probablement attiré par l'importance que la capitale abbasside commence à acquérir et poussé, sans doute, par le désir d'occuper un poste à la mesure de son talent. Mais ces renseignements si fragmentaires ne nous permettent nullement de reconstituer sa vie dans cette ville. Nous ne savons pas à quelle époque il s'y rendit, ni les circonstances qui lui ont permis de parvenir jusqu'aux hommes qui détenaient les rênes du pouvoir. La seule date que nous pouvons considérer comme certaine est celle de l'année 187/802-3. Nous savons en effet, grâce à la relation qu'il fit lui-même de la chute des Barmakides, qu'à cette époque il était le secrétaire de Yaḥyā al-Barmakī et qu'il était en compagnie de ce dernier lorsqu'il apprit la fin brutale de son fils Ja'far (1). Si, d'après ce texte, il était chargé de « préparer le paiement de certains traitements » (2), nous n'avons, par contre, aucun renseignement sur ses occupations antérieures, ni sur la nature des rapports qui le liaient alors au calife Hārūn ar-Rašīd. Sahl semble, en effet, avoir joui des faveurs de celui-ci avant la disgrâce des Barmakides(3). Rien ne nous permet, non plus, de définir avec précision le rôle qu'il a joué entre la chute de ces derniers et l'avènement d'al-Ma'mūn. Lui-même affirme avoir succédé à Yaḥya al-Barmakī dans ses fonctions (4). Mais les historiens gardent le silence sur cette succession, ce qui ne peut que surprendre étant donné l'importance des fonctions dont Yaḥyā était chargé. Aussi, on ne peut que suivre M. Sourdel lorsqu'il considère que si Sahl a vraiment succédé à ce dernier, cela n'a dû être qu'à titre provisoire (5).

(1) 'Iqd., V., 58 et suiv. ; al-Imāmā wa-s-Siyāsa, 214-222 ; le texte est rapporté dans ces deux ouvrages d'après Jāhiz ; Ibn Badrūn : Šarḥ Qašīdat Ibn 'Abdūn 238.

(2) V. D. Sourdel : Le Vizirat Abbasside de 749 à 936, I., 143 ; l'expression employée par Sahl est « 'uḥaṣṣilu-l-arzāqa », V. Ibn Badrūn op. cite, 238.

(3) 'Iqd., II., 136. Ḥuṣrī : Zahr al-ādāb, II., 552.

(4) 'Iqd., V., 61 ; Qalqašandī semble le classer parmi les ministres des abbassides quand il dit : « Parmi leurs vizirs qui se sont tellement illustrés par leur éloquence (balāga) qu'on les citait en exemple [figurent] Yaḥyā b. Ḥālid le vizir d'ar-Rašīd, al-Ḥasan b. Sahl, 'Umar b. Mas'ada, le secrétaire d'al-Ma'mūn, Ibn al-Muqaffa', le traducteur de Kallīla wa Dimna, Sahl b. Hārūn... et Abū-l-Faḍl b. al-'Amīd ». Mais il semble qu'il s'agit d'une généralisation, puisque cette liste comporte le nom d'Ibn al-Muqaffa' dont on sait qu'il n'a jamais été vizir ; v. Šubḥ-al-'Ašā, I., 93. Ibn Šuhayd semble considérer qu'il a joué un rôle important auprès de Hārūn ar-Rašīd, lorsque, prenant sa défense, il fait de lui un collaborateur qui aidait ce dernier à « user de finesse pour consolider son règne, mener à bien une guerre et étouffer une guerre civile » ; v. Daḥīra, I., 208.

(5) Op. cité, 184 note 5.

INTRODUCTION

Quand on veut étudier un écrivain comme Sahl b. Hārūn, on se heurte à de nombreux problèmes, insolubles sur la base des documents dont nous disposons actuellement. Cet écrivain dont la prose suscitait l'admiration de connaisseurs aussi autorisés que Jāhīz, Abū Ḥayyān at-Tawḥīdī, Abū-l-‘Alā’ al-Ma‘arrī et Ibn Šuhayd n'a eu droit qu'à de brèves et rares notices biographiques (1). Les éléments fournis par ces notices ne permettent nullement d'avoir une idée, même sommaire, des étapes les plus importantes de sa vie. Si l'on sait qu'il est originaire de Dastmaysān et qu'il s'est fixé au début de sa vie à Baṣra (2), on ignore tout sur sa famille et sur son séjour dans cette ville. Les anecdotes qu'on exploite d'habitude pour jeter quelques clartés sur une ou plusieurs périodes de la vie d'auteurs plus favorisés par le sort, font ici complètement défaut. Si l'œuvre d'un écrivain comme Jāhīz comporte suffisamment d'allusions permettant de conclure que sa formation est intimement liée au « milieu basrien », rien, dans le cas de Sahl b. Hārūn ne nous permet d'aboutir à une pareille conclusion. A moins de se contenter de généralités sur la vie intellectuelle à Baṣra au deuxième siècle comme l'a fait Kurd ‘Alī (3), il est peu profitable, à notre sens, de voir dans quelle mesure il a été marqué par le milieu où il a passé sa jeunesse. Il ne nous est même pas possible de faire des suppositions sur les gens qu'il a pu rencontrer et les écrits qu'il a pu étudier, étant donné que nous ne connaissons même pas la date approximative de sa naissance.

(1) Bayān, I., 68 ; Imtā‘, I., 58 ; Risālat al-Hanā’, 73-75 ; Dāḥira, I., 202 et 208.

(2) Pour la vie de Sahl b. Hārūn nous renvoyons à A. Yājī : Sahl b. Hārūn : Edition de : fragments avec traduction précédée d'une introduction sur cet auteur et son œuvre Thèse d'Université 1956. Bibliothèque de la Faculté de Lettres de Paris ; V. aussi É I. IV., 64-65. art de J.H. Kramers ; Fihrist, 180 ; Yāqūt : Iršād, XI ; 266-267 ; Šafadī al Wāfī bi-l-Wafayāt : XIV, f° 6 r° ; Ibn Šākir al-Kutubī : Fawāt al-Wafayāt, I., 368 ; Ibn Nubāta. Sarḥ al ‘Uyūn fī Šarḥ Risālat Ibn Zaydūn, 152.

(3) ‘Umarā’ - ul-Bayān, I., 159-160.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

- Pellat* (Charles) Ḥayawān. Article in E.I. n. édit., vol III., 318-319.
- Qalqašandī* (Abū-l-ʿAbbās Aḥmad) Šubḥ al-Aʿšā. vol. I.. Le Caire 1331/1913.
- Šafadī* (Salāḥuddīn) al-Wāfi bi-l-Wafayāt. vol. XIV. manuscrit de la Biblioth. Aḥmaddiyya. Tunis.
- aš-Šarīf ar-Murtaḍī* Amālī-al-Murtaḍī. vol. I., Le Caire 1954.
- Sourdel* (Dominique) Le Vizirat Abbasside de 749 à 936. Publication de l'Institut Français de Damas 1959/1960.
- Šūlī* (M. b. Yaḥyā) K. al-Awrāq : Qism aḥbār aš-Šuʿarā' Le Caire 1934.
- Suyūfī* (ʿAbd-ur-Raḥmān) al-Jāmiʿ aš-Šaḡīr. Vol. II. Le Caire 1352.
- Ṭaʿālibī* (Abū-Mansūr) Ṭimār al-Qulūb fi-l-Muḍāf wa-l-Mansūḍ Le Caire 1908.
- Tawḥīdī* (Abū-Ḥayyān) Risāla fi-š-Šadāqa wa-š-Šadiq. Constantinople 1301.
- Tawḥīdī* (Abū-Ḥayyān) al-Imtāʿ wa-l-Muʿānasa. vol. I. Le Caire 1953/1373.
- ʿUmayya b. Abī-š-Šalt* Dīwān. édit. Schultez. Leipzig 1911.
- Yājī* Sahl b. Hārūn (vie de l'écrivain et glanes de textes encore existants).Thèse d'Université soutenue en Sorbonne en 1956 et encore inédite.
- Yamanī* (Abū ʿAbdallah M. b. Ḥusayn b. ʿUmar) Kitāb Muḍāhāt ʿAmṭāl K. Kalīla wa Dimna bimā ašbahahā min ašʿār al-ʿArab. Beyrouth 1961.
- Yāqūt al-Ḥamawī* Muʿjam al-ʿUdabāʾ. vol. XI, édit. Rifāʿī Le Caire.
- Zamaḥšarī* (A. Q. Maḥmūd) Asās al-Balāga. Le Caire 1953/1372.
- Zamaḥšarī* (A. Maḥmūd) al-Mustaqšā fi Amṭāl al-ʿArab. Haydarābāb 1962/1381.

- Ibn al - Muʿtazz* (ʿAbd-ul-Lāh) K. al-Badīʿ. édit. Kratchkovsky. Londres 1935.
- Ibn an-Nadīm* (Muhammad b. Ishāq) al-Fihrist. Imp. Istiqāma. Le Caire.
- Ibn Nubāta* (Jamāluddīn) Sarḥ al-ʿUyūn fi Šarḥ Risālat Ibn Zaydūn. Le Caire.
- Ibn Qutayba* (A. M. ʿAbd-ul-Lāh) al-Imāma wa-s-Siyāsa. Le Caire 1937/1356.
- Ibn Šaraf* (A. A. Muḥammad) Masāʿil al-Intiqād. édit. et trad. Ch. Pellat. Alger 1953.
- Ibn Šākīr al-Kutubī* Fawāt al-Wafayāt. Vol. I. Le Caire 1951.
- Jāḥiẓ* (A. U. ʿAmr. b. Baḥr) al-Bayān wa-t-Tabayīn. 3 vol. Le Caire 1948-50/1367-70.
- Kramers* (J. H.) Sahl b. Hārūn. E. I. IV ; 64-65.
- Kurd ʿAlī* (Muḥammad) Umaraʿu-l-Bayān. t. I. Le Caire 1948/1367.
- al-Maʿarrī* (Abu-l-ʿAlāʿ) Risālat al-Hanāʾ. édit. Kāmil Kaylānī. Beyrouth.
- Masʿūdī* (A. H. ʿAlī) Murūj ad-Ḍaḥab wa Maʿādin al-Jawhar t. I. Le Caire 1948/1367.
- Maydānī* (Aḥmad) Majmaʿ al-Amṯāl. Le Caire 1959/1379ʿ
- Méhirī* (Abd-ul-kādir) Kitāb an-Namir wa-t-Taʿlab li-Sahl b. Hārūn, in Ḥawliyyāt al Jāmiʿa at-Tūnisiyya n° I. 1964.
- Pellat* (Charles) Le Milieu Basrien et la Formation de Jāḥiẓ A. Maisonneuve. Paris 1953.
- Pellat* (Charles) Questions de critique littéraire. Alger 1953.
- Pellat* (Charles) La Prose arabe à Baġdād. in Arabica ; volume spécial publié à l'occasion du 1200è anniversaire de la fondation de Baġdad. 1962.

BIBLIOGRAPHIE

- | | |
|-------------------------------|---|
| Ašā (Maymūn b. Qays) | Dīwān, édit. M. Ḥusayn. Le Caire 1960. |
| Ašfahānī (Abū-l-Faraj) | Aġānī. vol. XII. Dār al-Kutub. Le Caire. |
| ʿAskarī (Abū Hilāl) | Kitāb aṣ-Ṣināʿatayn. Le Caire 1952/1371 |
| Ašmaʿī (A. S. ʿAbd-ul-Malik) | Ašmaʿiyyāt. Dār al-Maʿārif 1964.
Le Coran. Traduction selon un essai
de reclassement des Sourates. G. P.
Maisonneuve. Paris 1949-1951. |
| Blachère (Régis) | « Moments » tournants dans la littérature
arabe; in <i>Studia Islamica</i> . 1964. |
| Blachère (Régis) | « Moments » tournants dans la littérature
arabe; in <i>Studia Islamica</i> . 1964. |
| Brockelmann (Carl) | Geschichte der Arabischen. Littérature.
Sup. I. 213. |
| Ḥuṣrī (Abū Ishāq Ibrāhīm) | Zahr al-ʿĀdāb, 2 vol. Le Caire 1953/
1372. |
| Ibn ʿAbd Rabbih (Aḥmad) | al-ʿIqd al-Farīd. 7 vol. Le Caire 1944-56/
1363-75. |
| Ibn Badrūn (ʿAbd-ul-Malik) | Šarḥ Qaṣīdat Ibn Zaydūn. Imprimerie
Saʿāda. Le Caire. |
| Ibn Bassām (A. ʿAlī) | aḍ-Ḍaḥīra fī Maḥāsīn ahl al-Jazīraʿ
Vol. I. Le Caire 1938-1358. |
| Ibn al-Muqaffaʿ (ʿAbd-ul-Lāh) | al-Adab aṣ-Ṣaġīr. Beyrouth 1960. |
| Ibn al-Muqaffaʿ (ʿAbd-ul-Lāh) | Kalila wa Dimna. Imprimerie Catholi-
que. Beyrouth. |

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

Systeme de Transcription

Consonnes

ء	ء	ض	ɗ
ب	b	ط	t
ت	t	ظ	z
ث	ṯ	ع	ʿ
ج	j	غ	ǧ
ح	ḥ	ف	f
خ	ḫ	ق	q
د	d	ك	k
ذ	ḏ	ل	l
ر	r	م	m
ز	z	ن	n
س	s	هـ	h
ش	š	و	w
ص	ṣ	ي	y

Voyelles

اَ	a
اُ	u
اِ	i
آ	ā
و	ū
ي	ī

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

SAHL IBN HĀRŪN

An-NAMIR Wa-T-TA^cLAB

(La Panthère et le Renard)

*Texte présenté, établi et traduit
par*

Abdelkader MEHIRI

Agrégé de l'Université.

**Publications de l'Université de Tunis
Faculté des Lettres et Sciences Humaines**

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com